دراسة موضوعية
حول القصة القرآنية

اعداد الدكتور

أشـرف محمد زلـط

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بالإسكندرية

جامعة الأزهر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

صدق الله العظيم

[سورة يوسف: آية: ١١١]

المقدمة

وتشتمل على:

أولاً: أسباب اختيار الموضوع .

ثانياً: خطة البحث .

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد .

وأذكى الصلاة وأتم ألتسليم على صفوة ﷲ من خلقه وخيرته من عباده سيدنا محمد بن عبد ﷲ النبي الأمي، وإخوانه الأنبياء والمرسلين وآلهم وصحبهم أجمعين .

اللهم صلّ علي سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم، وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد، عدد خلقك، ورضا نفسك، وزنت عرشك، ومداد كلماتك، كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكرك الغافلون .

أما بعد...

فإن أولى ما تنفق فيه الأوقات العلم الذي فضل ﷲ به الإنسان، وبخاصة ما اتصل منه بكتاب ﷲ ﷻ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد .

هذا القرآن الذي لا زال يمد الدنيا بأصدق المعارف، وأكثر العلوم نفعاً، منذ أن أنزله ﷲ على قلب سينا محمد ﷺ وإلى أن يرث ﷲ الأرض ومن عليها .

ولقد عرف الصحابة – رضوان ﷲ عليهم – هذه الحقيقة، فعاشوا مع هذا القرآن الكريم، ولم تكن حياتهم معه نظرية فحسب، بل كانت عملية، فإذا بدا لهم شيء في حياتهم كانوا يرجعوا إليه، يستفتونه فيفتيهم، ويستهدونه فيهديهم، يقول ﷲ تعالى:﴿**إِنَّ هَـذَا الْقُـرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْـوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**﴾ (١) .

وسوف يظل القرآن الكريم مصدر كل نور جديد، يُصْلِح الحياة والأحياء، ولا يظُنّ ظانّ أن أحداً مهما عظمت منزلته في العلم، باستطاعته أن يستوعب كل ما في القرآن الكريم من علوم وأسرار ومعارف، ذلك أمر لم يكن ولن يكون، فمهما كتب الكاتبون، وأبدع المبدعون، وجدد المجددون، فسيبقى الذي فاتهم منه أكثر من الذي أخذوه منه .

---

(١) جزء من آية (٩) سورة الإسراء .

وأشكر الله ﷻ على ما أولاني به من فضله فهيأ لي أن أكون ممن تربوا على موائد أهل القرآن، فجزاهم الله عني وعن إخواني من أهل العلم خير الجزاء . وأدعوا الله ﷻ أن يكون هذا العلم زخراً لي ولهم في ميزان الحسنات، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير وهو نعم المولى ونعم النصير .

ولما كان علم التفسير من أشرف العلوم على الإطلاق، وأولاها بالتفضيل والاستحقاق، وأرفعها قدراً بالاتفاق، رغبت في الدخول من أبوابه، وشاء الله ﷻ أن يقع اختياري على موضوع هذا البحث، وهو:

[دراسة موضوعية للقصة القرآنية]

حاولت فيه – قدر استطاعتي – جمع المادة العلمية ودراستها، وإبراز بعض جوانب العظمة في القرآن الكريم من خلال القصة القرآنية .

أولاً: أسباب اختيار الموضوع

وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع والبحث فيه أسباب عدة أهمها:

أولاً: توفيق الله ﷻ ﴿ **الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَـوْلا أَنْ هَـدَانَا اللهُ** ﴾ (١)

ثانياً: الإسهام – قدر استطاعتي – في خدمة كتاب الله تعالى، الذي هو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضيلة .

ثالثا: رغبتي في دراسة نوع من أهم أنواع من أهم أنواع التفسير، وهو القصص القرآني .

رابعاً: جمع أقوال العلماء حول القصة القرآنية، وإخراج ذلك في أسلوب سهل ميسر .

خامساً: الرغبة في الاستزادة العلمية بها تحتوى عليه القصة القرآنية .

سادساً الوصول بعون الله تعالى إلى إبراز ما في القصة القرآنية من خير كثير، بعد عنه كثير من المسلمين، وبيان ما لحق بها من دخائل لا يفطن إليها القارئ غير المتخصص .

سابعاً: إلقاء الضوء على هذه النماذج الحية التى تحدث عنها القرآن الكريم، وبخاصة النماذج الإيجابية، حتى يقتدى بهم المسلمون وغيرهم، ويتحاشوا الوقوع فيما وقعت فيه النماذج السلبية .

لهذه الأسباب وغيرها كان توفيق الله ﷻ لاختيار هذا الموضوع .

---

(١) جزء من الآية (٤٣) من سورة الأعراف .

ثانياً: خطة البحث:

وتتكون خطة البحث من: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة:

أولاً: المقدمة: وتشتمل على:

أولاً: أسباب اختيار الموضوع .

ثانياً: خطة البحث .

ثانياً: المبحث الأول: دراسة القصة القرآنية، ويشتمل على عدة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالقصة، ويشمل:

أولاً: مفهوم القصة .

ثانياً: مكونات القصة .

ثالثاً: مصدر القصة .

المطلب الثاني: مكانة القصة القرآنية، ويشمل:

أولاً: سبب تعدد أساليب القرآن .

ثانياً: الفرق بين القصة في القرآن وغيرها من الكتب السابقة.

ثالثاً: أنواع القصص القرآني

المطلب الثالث: مميزات القصة القرآنية وأثرها، ويشمل:

أولاً: مميزات القصة القرآنية .

ثانياً: أثر القصص في تهذيب النفس .

ثالثاً: استفادة الصحابة والتابعين من القصص .

المطلب الرابع: الأهداف والخصائص والفوائد، ويشمل:

أولاً: أهداف القصة القرآنية،

ثانياً: الخصائص الذاتية للقصة القرآنية .

ثالثاً: الخصائص الفنية للقصة القرآنية .

رابعاً: فوائد القصة القرآنية .

المطلب الخامس: أهم الشبه التي أثيرت حول القصة القرآنية، ويشمل:

أولاً: شبه عامة .

ثانياً: شبهة التكرار .

ثالثاً: دخول الإسرائيليات على القصة

المطلب السادس: كيفية دراسة القصة، وأهم المؤلفات فيها، ويشمل:

أولاً: الطريقة المثلى لدراسة القصة القرآنية .

ثانياً: أهم المؤلفات في القصة .

ثالثاً: المبحث الثاني: أمثلة لدراسة القصة القرآنية، ويشتمل على مطالب:

المطلب الأول: قصة المؤمن وصاحب الجنتين .

المطلب الثاني: قصة أصحاب الأخدود .

المطلب الثالث: قصة أصحاب الفيل .

رابعاً: الخاتمة، وتشمل على :

١ – أهم نتائج البحث والتوصيات .

٢ – فهرس المصادر والمراجع .

٣ – فهرس عام المحتويات الرسالة .

و ﷲ أسأل التوفيق والسداد، والهداية والرشاد، إنه سميع قريب مجيب الدعاء
وصلى ﷲ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباحث

المبحث الأول
دراسة القصة القرآنية

ويشتمل على عدة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالقصة،

ويشمل:

أولاً: مفهوم القصة.

ثانياً: مكونات القصة.

ثالثاً: مصدر القصة.

المطلب الأول
التعريف بالقصة

أولا: مفهوم القصة :

من المعلوم في كتب اللغة أن القصة مأخوذة من القَصّ [١]: وهو فعل القاصّ إذا قَصَّ القِصَصَ . والقصّة معروفة، يقال: في رأْسه قِصّةٌ يعني: الجملة من الكلام، ومنه قوله تعالى: ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ** ﴾ [٢] أَي: نُبَيّن لك أَحسن البيان . وقصّ عليّ خبَره يقُصُّه قَصّاً وقَصَصاً: أَوْرَدَه . فالقاصُّ: الذي يأْتي بالقِصّة على وجهها كأَنه يَتَتَبّع معانيَها وأَلفاظَها .

والقصّ: تتبع الأثر، يقال: قَصَصْت الشيء إذا تتبّعْت أَثره شيئاً بعد شيء ومنه، قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ** ﴾ [٣] أَي: اتّبِعي أَثَرَه . وقَصَّ آثارَهم يَقُصُّها: تتبّعها، قال تعالى: ﴿ **فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا** ﴾ [٤]. أَي رَجَعا من الطريق الذي سلكاه يَقُصّان الأَثر أَي يتّبعانه .

والقِصَصُ، بكسر القاف: جمع القِصّة التي تكتب . وأما القَصَصُ بفتح القاف: فهو اسم للخبر المقصوص، وهو مصدر سمي به المفعول، يقال قص عليّ فلان: إذا أخبره بخبر . فالقِصّة في عرف اللغة: الأمر والخبر والبيان والشأن والحال . [٥]

أما تعريف القصة في اصطلاح العلماء: هي الخبر عن حادثة غائبة عن المُخبَر بها . [٦]

فالإخبار عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة، هو ما يسمى عند العلماء بالقصة القرآنية .

وعلى هذا فقد اشتمل القرآن الكريم على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر الديار والبلاد، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه . [٧]

---

(١) بتشديد الصاد المهملة مع ضمها، أو بالتشديد مع الكسر، فكلاهما جائز . راجع: لسان العرب، مادة (قص) .

(٢) جزء من آية (٣) سورة يوسف .

(٣) جزء من آية (١١) سورة القصص .

(٤) جزء من آية (٦٤) سورة الكهف .

(٥) راجع: لسان العرب، المعجم الوسيط، مادة (قص) .

(٦) التحرير والتنوير ١/ ٦٤ .

(٧) راجع: مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٣٠١ .

فالقصة تتبع أحداثاً ماضية، يعرض منها ما يفيد عرضه في مجال الدعوة إلى التوحيد الخالص والخلق الفاضل .

ومن هنا كانت تسمية الأخبار التي جاء بها القرآن الكريم قصصاً مما يدخل في المعنى العام لكلمة خبر أو نبأ، وقد استعمل القرآن الكريم الخبر والنبأ بمعنى التحدث عن الماضي، وإن كان قد فرق بينهما في المجال الذي استعملا فيه، جرياً على ما قام عليه نظمه من دقة وإحكام وإعجاز .

فاستعمل النبأ والأنباء في الإخبار عن الأحداث البعيدة زماناً أو مكاناً، على حين استعمل الخبر والإخبار في الكشف عن الوقائع القريبة العهد بالوقوع، أو التي لا تزال مشاهدها ماثلة للعيان .

ففي النبأ والإنباء يقول الله تعالى في أصحاب الكهف: ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ** ﴾ (١) .

ويقول تعالى في شأن الأمم الماضية وما وقع فيها: ﴿ **ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ** ﴾ (٢) .

ويقول ﷻ فيما يقص على نبيه من قصص الأولين: ﴿ **تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ (٣) .

وفي الخبر والإخبار يقول ﷻ مخاطباً المؤمنين: ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ** ﴾ (٤) .

ويقول ﷻ فيما يكون من أحداث يوم القيامة: ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۞ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ۞ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ** ﴾ (٥).(٦)

۞۞۞

(١) جزء من آية (١٣) سورة الكهف .

(٢) الآية (١٠٠) من سورة هود .

(٣) الآية (٤٩) من سورة هود .

(٤) الآية (٣١) من سورة محمد .

(٥) الآيات (٤ – ٦) من سورة الزلزلة .

(٦) قصص القرآن د/ محمد بكر إسماعيل ص ٧ .

ثانيا: مكونات القصة:

تتألف القصة من عناصر رئيسية عليها يشاد صرح القصة وبها يتكامل البناء، وهذه العناصر هي:

أولاً: الحوادث التى وقعت في زمن القصة، والحادثة: هي العنصر الأول للقصة .

ثانياً: ألأشخاص الذين قاموا بتلك الحوادث، وهم العنصر الثاني للقصة .

ثالثاً: الزمان والمكان: فالزمان: هو الذي وقعت فيه الأحداث، والمكان: هو الذي عاش أصحاب الأحداث فيه، والزمان والمكان هما العصر الثالث للقصة .

رابعاً: القاص الذي يحكي هذه الأحداث، وهو يتفاوت من واحد لآخر في أسلوبه وطريقة عرضه، وحواره وسرده، وهو العنصر الرابع للقصة .

خامساً: الهدف والغاية من القصة، فلابد عند ذكر القصة من هدف وغاية، يريد ذاكر القصة وصول المستمع إليه، وهذا هو العنصر الخامس .

وهذه العناصر سابقة الذكر المكونة للقصة ليست على حد سواء، فقد يكون الاهتمام متجها إلى الحادثة ؛ وذلك لشدة تأثر الناس بها، فتعطى من العناية ما يجعلها تطغى على سائر العناصر، وبهذا تكون القصة قصة حادثة .

وقد يكون الاهتمام موجها إلى أشخاص القصة أو واحد منهم، وبذلك تكون القصة أشبه بالتراجم . والملاحظ في هذا الوع أن شخصاً بعينه يبرز في القصة، فيكون هو نجمها الزاهي، وكل ما عداه يسير في فلكه وتكون أدوارهم في القصة ثانوية مكملة .

أما سرد القصة وأسلوبها ولون الحوار فيها فذلك مظهر لقدرة القاص أو الكاتب، وعليه يتوقف نجاح القصة وقبولها .

وأما الغاية والهدف فإن القصة تسموا وتعلوا وتشرف بقدر ما يسموا ويشرف الهدف منها . وبقدر اقتناع الذاكر أو القاص للقصة بغايتها وهدفها يكون تأثيره في المستمع . [1]

۞۞۞

ثالثا: مصدر القصة القرآنية :

(١) راجع: النوران في علوم القرآن د / حسن محمد شداد صـ ٢٣٨، ٢٣٩ .

إن القصة القرآنية جزء من القرآن الكريم، والقرآن هو كلام الله ﷻ الذي أنزله من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة، ثم نزل به أمين الوحي جبريل عليه السلام على قلب سيد المرسلين محمد ﷺ، المتعبد بتلاوته، المتحدى بأقصر سورة منه .

فهو تنزيل من عليم حكيم، لا يرد في أخباره إلا ما يكون موافقاً للواقع، ولا يذكر في قصصه إلا ما يكون صدقاً .

فإذا كان الفضلاء من الناس يتورعون من أن يقولوا زوراً أو كذباً، ويعدون ذلك من أقبح الرذائل وأشنع الصفات التي تردى بالإنسانية، فكيف يسوغ لعاقل أن يلصق الزور بكلام ذي العزة والجلال ؟ .

فالله تعالى هو الحق، يقول تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ** ﴾ (١) .

وأرسل رسوله ﷺ بالحق، فيقول تعالى: ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا** ﴾ (٢) .

وما أنزله على نبيه ﷺ أيضاً حق، فيقول تعالى: ﴿ **وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ** ﴾ (٣)، ويقول تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ** ﴾ (٤)، ويقول تعالى:﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ** ﴾ (٥)، ويقول تعالى: ﴿ **وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ** ﴾ (٦).

وما قصه الله تعالى في القرآن حق، فيقول تعالى: ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ** ﴾ (٧)، ويقول تعالى: ﴿ **نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ** ﴾ (٨) .

فلا غرابة بعد ذلك كله بأن يعد إيراد القصص في القرآن على هذا الوجه ضرب من ضروب الإعجاز، وذلك بعد أن نعرف أنه جاءهم بلسان عربي مبين من أمي لم يقرأ ولم يكتب ولم يخط بقلم خطاً .

---

(١) الآية (٦٢) من سورة الحج .
(٢) جزء من آية (٢٤) سورة فاطر .
(٣) جزء من آية (٣١) سورة فاطر .
(٤) جزء من آية (١٧٠) سورة النساء .
(٥) جزء من آية (٤٨) سورة المائدة .
(٦) جزء من آية (١) سورة الرعد .
(٧) جزء من آية (١٣) سورة الكهف .
(٨) جزء من آية (٣) سورة القصص .

يقول الإمام القرطبي في مقدمة تفسيره عن وجوه إعجازه القرآن الكريم:

" ومنها: الإخبار عن الأمور التي في أول الدنيا إلى وقت نزوله، من أمي ما كان يتلو من قبله من كتاب ولا يخطه بيمينه، فأخبر بما كان من قصص الأنبياء مع أممها، والقرون الخالية في دهرها، وذكر ما سأله أهل الكتاب عنه وتحدوه به، من قصص أهل الكهف، وشأن موسى والخضر – عليهما السلام – وحال ذي القرنين، فجاءهم وهو أمي من أمة أمية ليس لها بذلك علم بما عرفوا من الكتب السافلة صحته ". (١)

فتحققوا صدقه، وظهر أمام أعينهم سلامة موقفه، ولكنه الحقد والحسد وحب الدنيا وخوف زوالها أعماهم، ﴿ **وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ** ﴾(٢).(٣)

۞۞۞

(١) الجامع لأحكام القرآن ١ / ٩٠ .

(٢) الآية (٥) سورة فصلت .

(٣) النوران في علوم القرآن د / حسن محمد شداد صـ ٢٤٦ .

المطلب الثاني: مكانة القصة القرآنية

ويشمل:

أولا: **سبب تعدد أساليب القرآن .**

ثانيا: **الفرق بين القصة في القرآن وغيره .**

من الكتب السابقة.

ثالثاً: **أنواع القصص القرآني .**

المطلب الثاني
مكانة القصة القرآنية

أولا : سبب تعدد الأساليب في القرآن الكريم :

إن القرآن الكريم لم يغفل أياً من أشكال التعبير النثري التي تحقق أهدافه وغاياته السامية، كالقصة والخطاب والحوار، كما لم يغفل أياً من أنماط الكلام خبراً كان أو إنشاءً، وأياً من أساليب المخاطبة سواء بالأمر والنهى، أو الوعظ والزجر، أو الترغيب والترهيب .

فمن أسباب تعدد الأساليب في القرآن الكريم: أن البشر يختلفون في طبائعهم واستعداد كل فرد منهم، فمن الناس من يتأثر بالقصة وما فيها من تأثير وجداني حيّ، ومنهم من تقنعه البراهين والحجج العقلية، ومنهم من يتأثر بالترغيب والترهيب ؛ لذا يأتي الحثّ على فضيلة معينة أو النهي عن رذيلة معينة في أكثر من شكل تعبيري .

وقد ترد هذه الأشكال التعبيرية مستقلاً بعضها عن بعض، وقد تجتمع، وغالباً ما تجتمع في القصة القرآنية، فتأتى القصة القرآنية جامعةً للأحداث، والحوار، والخطاب، بما فيه من أمر ونهي، وربما بدئت القصة أو ختمت بذكر الموعظة المستخلصة منها بشكل مباشر، فإذا ما اجتمع في القصة أكثر من شكل تعبيري كانت أوسع تأثيراً لقطاع كبير من المخاطبين على اختلاف ميولهم وطبائعهم . (١)

ثانيا :الفرق بين القصة في القرآن وغيرها من الكتب السابقة :

لا عجب إذن أن يكون هذا القصص بدعاً مما عرفته الإنسانية من هذا اللون، في القديم والحديث، حتى ذلك القصص الذي جاء في الكتب السماوية السابقة، نجده يختلف تماماً عن القصة القرآنية، فأنت تجد القصة في هذه الكتب – فضلاً على ما فيها من مخالفة لقواعد العلم وقوانين التربية – فهي مع ذلك تذكر ﷲ ﷻ ورسله – عليهم الصلاة والسلام – بما يأباه العقل وتشمئز منه النفس .

وماذا أكثر من أن يوصف ﷲ ﷻ بالندم والبداء (٢)، والظهور بصورة البشر – تعالى ﷲ عما يقولون علواً كبيراً – وأن يوصف الرسل الكرام بالكذب، والسكر، والزنا .

---

(١) راجع: قصص القرآن الكريم د/ فضل حسن عباس ص ٤٣، ٤٤ .

(٢) البَداء – بفتح الباء: يطلق في لغة العرب على معنيين متقاربين:

أحدهما: الظهور بعد الخفاء، ومنه قوله تعالى: (وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ)[سورة الزمر: ٤٧]، أي: ظهر لهم من عاقبة أمرهم في الآخرة ما كان خافَياً عليهم في الدنيا، ومنه قولهم: بدا لنا سور المدينة، أي: ظهر لنا بعد أن كان خافياً . =

أما القصة القرآنية فإنها ستبقى الشعلة التي تضيء لهذا الإنسان، لتصل حاضره بماضيه، وستبقى النفحة الربانية التي تشرق بها النفس وتعمر القلب، وستبقى الوثيقة الوحيدة الصادقة الخالدة التي يطمئن الإنسان لمصداقيتها، وستبقى النمط السويّ الذي إن ترسمناه حقاً فسيقينا سلبيات التشويش والتشويه .

تلك بعض الحقائق عن القصة القرآنية، التي من شأنها أن تبعث في النفس الشوق للتفصيل، وأن تجعل النفس تتشوق للوقوف مع الجزئيات والأحداث .

وأرجوا من الله ﷻ أن يهدي نفوسنا ونحن نعيش مع القصة القرآنية، بمعرفة هذه الحقائق وغيرها . (١)

۞۞۞

ثالثاً: أنواع القصص في القرآن :

القصص في القرآن ثلاثة أنواع:

النوع الأول: قصص الأنبياء: وقد تضمن دعوتهم إلى أقوامهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها، وعاقبة المؤمنين والمكذبين، وذلك كقصة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين – عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأتم التسليم .

النوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت نبوتهم، كقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وطالوت وجالوت، وابني آدم، وأهل

= **ثانيهما:** نشأة رأي جديد لم يكن موجوداً من قبل، ومنه قوله تعالى: (**ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ**) [يوسف:٣٥]، أي: نشأ لهم في يوسف رأي جديد، هو أن يسجن سجناً وقتياً، بدليل قوله في الآية: (**لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ**) .

وكلا هذين المعنيين محال في حق الله ﷻ ؛ لما يلزم منهما من سبق الجهل وحدوث العلم، والجهل والحدوث محالان على الله تعالى، والأدلة على ذلك كثير، سواء كانت من الناحية العقلية أو النقلية .[راجع: فتح المنان في نسخ القرآن للشيخ/ علي حسن العريض ص ٥٠، ٥١] .

(١) القصة في القرآن الكريم د/ فضل حسن عباس ص ٤٩– ٥١ باختصار . وانظر: النوران في علوم القرآن للدكتور / حسن محمد شداد صـ ٢٣٩، ٢٤٠

الكهف، وذي القرنين، وقارون، وأصحاب السبت، ومريم، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل، وغيرهم .

النوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله ﷺ، كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في سورة التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، ونحو ذلك . (١)

وقد ذهب بعض العلماء ومنهم العلامة الطاهر بن عاشور، إلى أن النوع الثالث من أنواع القصة، ليس داخل في نطاق القصة بمعناها الاصطلاحي، فالحوادث التي وقعت في عصر النبي ﷺ وشاهدها المسلمون تقع في دائرة الخبر المشاهد وليس القصة ؛ لأن القصة عنده كما سبق تعريفها: هي الخبر عن حادثة غائبة عن المخبر بها، فيقول العلامة الطاهر بن عاشور: فليس ما في القرآن من ذكر الأحوال الحاضرة في زمن نزوله قصصاً، مثل ذكر وقائع المسلمين مع عدوهم .(٢)

ولكن الصحيح أن هذا النوع من الأخبار هو من القصص القرآني ؛ لأنه وإن كان خبراً في وقت نزول القرآن، وكانت الأحداث مشاهدة في وقتها، إلا أنها بالنسبة لمن لم يشاهدها في عصر النبي ﷺ، أو من جاء بعد عصر النبي ﷺ هي أحداث غائبة ؛ لهذا هي داخلة في أقسام القصة القرآنية، ولا يفوتنا هنا أن نذكّر أن القرآن الكريم يخاطب المسلمين جميعاً، من وقت نزوله وإلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها، فهو لكل العصور وليس لعصر دون آخر .

❁❁❁

(١) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٣٠٢ .

(٢) التحرير والتنوير ١/ ٦٤ .

المطلب الثالث: مميزات القصة القرآنية وأثرها

ويشمل:

أولا: **مميزات القصة القرآنية .**

ثانيا: **أثر القصص القرآني في تهذيب النفس .**

ثالثاً: **استفادة الصحابة والتابعين من القصص.**

المطلب الثالث

مميزات القصة القرآنية وأثرها

أولاً: مميزات القصة القرآنية عن غيرها:

إننا لو أمعنا النظر في القرآن الكريم، لوجدنا أن القرآن يأخذ من كل قصة أشرف مواضيعها ويعرض عما عداه، ليكون تعرضه للقصص منزهاً عن قصد التَّفَكُّه بها، من أجل ذلك لم تأت القصص في القرآن متتالية في سورة أو سور، كما يكون كتاب تاريخ، بل كانت مفرقة موزعة على مقامات تناسبها ؛ لأن معظم الفوائد الحاصلة منها لها علاقة بذلك التوزيع، فهو ذكر وموعظة لأهل الدين، فهو بالخطابة أشبه .

وللقرآن الكريم أسلوب خاص به، هو الأسلوب المعبر عنه بالتذكير والذكر، فكان أسلوبه قاضياً للوطرين القلبي والعقلي، وكان أجلَّ من أسلوب القصاصين في سوق القصص لمجرد معرفتها ؛ لأن سوقها في مناسباتها يكسبها صفتين: صفة البرهان، وصفة التبيان .

وأيضاً من مميزات قصص القرآن: نسج نظمها على أسلوب الإيجاز ؛ ليكون تشبهها بالتذكير أقوى من تشبهها بالقصص، مثال ذلك: قوله تعالى في سورة القلم: ﴿ **فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ۞ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۞ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلاَ تُسَبِّحُونَ** ﴾ (١)، فقد حُكِيت مقالته هذه في موقع تذكيره أَصحابَه بها ؛ لأن ذلك هو محز حكايتها، ولم تُحك أثناء قوله:﴿ **إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ** ﴾ (٢)، وقوله: ﴿**فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ۞ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ** ﴾ (٣) .

كما أن من مميزات القصة في القرآن: طي ما يقتضيه الكلام الوارد، كقوله ﷻ في سورة يوسف عليه السلام: ﴿ **وَاسْتَبَقَا الْبَابَ** ﴾ (٤)، فقد طوي ذكر حضور سيدها، وطرقه الباب، وإسراعهما إليه لفتحه، فإسراع يوسف عليه السلام ليقطع عليها ما توسّمه فيها من المكر به ؛ لتري سيدها أنه أراد بها سوءاً، وإسراعُها هي لضد ذلك ؛ لتكون البادئة بالحكاية لتقطع علي يوسف ما توسمتْه فيه من شِكاية ؛ ويدل على ذلك ما بعده من قوله: ﴿ **وَأَلْفَيَا**

(١) الآيات (٢٦– ٢٨) من سورة القلم .

(٢) جزء من الآية (١٧) سورة القلم .

(٣) الآيتان (٢١، ٢٢) من سورة القلم .

(٤) جزء من الآية (٢٥) سورة يوسف عليه السلام .

سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَ أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ وما بعدها من الآيات [١].

ومنها أيضاً أن القِصص بُثت بأسلوب بديع، إذْ ساقها في مظان الاتعاظ بها مع المحافظة على الغرض الأصلي الذي جاء به القرآن من تشريع . [٢]

۞۞۞

ثانياً: أثر القصص القرآني في تهذيب النفس وتربيتها :

إن مما لا شك فيه أن القصة المحكمة الدقيقة تطرق المسامع بشغف، وتنفذ إلى النفس البشرية بسهولة ويسر، وتسترسل مع سياقها المشاعر فلا تمل ولا تكل، ويرتاد العقل عناصرها، فيجنى من حقولها الأزاهير والثمار .

والدروس التلقينية والإلقائية تورث الملل، ولا تستطيع الناشئة أن تتابعها وتستوعب عناصرها إلا بصعوبة وشدة، وإلى أمد قصير، ولذا كان الأسلوب القصصي أجدى نفعاً، وأكثر فائدة .

والمعهود – حتى في حياة الطفولة – أن يميل الطفل إلى سماع الحكاية، ويصغي إلى رواية القصة، وتعي ذاكرته ما يروى له، فيحاكيه ويقصه .

هذه الظاهرة الفطرية النفسية ينبغي للمربين أن يستفيدوا منها في مجالات التعليم، لا سيما التهذيب الديني، الذي هو لبّ التعليم، وقوام التوجيه فيه .

وفي القصص القرآني تربة خصبة تساعد المربين على النجاح في مهمتهم، وتمدهم بزاد تهذيبي، من سيرة النبيين، وأخبار الماضين، وسنة الله ﷻ في حياة المجتمعات، وأحوال الأمم، ولا تقول في ذلك إلا حقاً وصدقاً .

كما يستطيع المربي أن يصوغ القصة القرآنية بالأسلوب الذي يلائم المستوى الفكري للمتلقين، في كل مرحلة من مراحل الحياة . [٣]

فلا ينكر أحد أبداً ما جاء به القصص القرآني من توجيهات دينية، لكل ما جاء به الإسلام من مبادئ وعقائد، ولكل ما أنكره الإسلام من خلق وعادات، وآراء زائفة، وعقائد

---

(١) الآيات المرادة هنا هي (٢٥ – ٢٨) من سورة يوسف عليه السلام .

(٢) راجع: التحرير والتنوير ٦٤/١، ٦٥ .

(٣) راجع: مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٣٠٦، ٣٠٧ .

وعبادات باطلة، نلمح هذا ونحسه أغراضاً وأهدافاً، تأتي بين طيات هذا القصص وفى ثناياه . [١]

ثالثاً: استفادة الصحابة والتابعين من القصص القرآني :

لقد كان السلف الصالح – رضي الله عنهم – يستفيدون أعظم استفادة من قصص القرآن الكريم وخطابه عن السابقين، ولا يمنعهم أن نزول الآيات كان لأقوام غيرهم من أن يحذروا الشر الذي ذموا به، وأن يقتدوا بالخير الذي مدحوا من أجله .

فقد ذُكر في كتب السنة بعض الأحاديث والآثار التي توضح لنا موقف الصحابة والتابعين – رضي الله عنهم – من قصص السابقين في القرآن الكريم:

روي عن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن عمر رأى في يد جابر بن عبد الله ﷺ درهما، فقال : ما هذا الدرهم ؟ قال : أريد أن أشتري به لحما لأهلي قرموا [٢] إليه، فقال: أفكلما اشتهيتم شيئا اشتريتموه، أين تذهب عنكم هذه الآية ﴿ **وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا** ﴾ [٣]. [٤]

مع أن الآية بلا إشكال في الكفار كما ينص على ذلك أولها، ولكن الفهم العميق للصحابة – رضي الله عنهم – دلهم على أن الذم للكفار كان على أعمال وصفات معينة، فمن شاركهم في بعضها استحق بعض جزائهم، وإن لم يكن كافراً مثلهم .

وهذا حذيفة بن اليمان ﷺ يُسأل عن قول الله ﷻ: ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [٥]، قالوا نزلت في بني إسرائيل ؟ فقال متهكماً على من يريد تخصيصها

---

(١) قصص القرآن د/ محمد بكر إسماعيل ص ١٣٣ .

(٢) القَرَمُ: بالتحريك: شدّة الشهوة إلى اللحم، وفي الحديث: كان يتعوّذ من القَرَم، وهو: شدة شهوة اللحم حتى لا يُصبَر عنه . يراجع لسان العرب، النهاية في غريب الحديث، مادة (قرم) .

(٣) الآية (٢٠) سورة الأحقاف .

(٤) الحديث: أخرجه: الحاكم في المستدرك، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة الأحقاف ٢/ ٤٥٥، وقال: هذا حديث حسن صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وخالفه الإمام الذهبي وضعفه، فقال: قلت: القاسم بن عبد الله بن عمر – أحد رواة الحديث – واهن .

(٥) جزء من آية (٤٤) سورة المائدة .

بسب نزولها: " نعم الأخوة لكم بنواإسرائيل أن تكون لكم كل حلوة ولهم كل مرة " [١] . مع أن سياق الآيات وسبب نزولها في شأن اليهوديين الذين زنيا [٢] .

وكذا قال الحسن: " نزلت في أهل الكتاب وهي لنا واجبة " [٣] .

وأيضاً قال النخعي : " نزلت فيهم ورضيها الله لهذه الأمة " [٤].

فهذا باب عظيم من أبواب الفهم في القرآن الكريم، تميز به السلف الصالح – رضوان الله عليهم – وحرمه الكثيرون، الذين قصروا أنفسهم على الانتفاع بما خوطبت به الأمة الإسلامية، سواء كان مدحاً أو ذماً، أو كان أمراً ونهياً، وغاب عنهم خير عظيم لا يعطيه الله ﷻ إلا من اتقوا الله فعلمّهم الله .

ويستفاد ذلك أيضا من الحديث الوارد في قصة ذات أنواط [٥]، عندما أجاب رسول الله ﷺ لمن قال له: أجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال ﷺ: " الله أكبر !! إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنواإسرائيل لموسى: ﴿ **اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ** ﴾ [٦]، ثم قال رسول الله ﷺ: لتتبعن سنن من كان قبلكم حذواً القذة بالقذة [٧] حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ فقال: فمن" [٨] .

---

(١) الحديث: أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة المائدة ٣١٢/٢ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الإمام الذهبي . وذكره: الطبري في تفسيره ١٦٤/٦ .

(٢) راجع: صحيح مسلم، كتاب: الحدود، باب: باب رجم اليهود، أهل الذمة، في الزنى، وأسباب النزول للواحدي صـ ١٦١، وأسباب النزول للسيوطي صـ ٨٢ .

(٣) الأثر: الطبري في تفسيره ٦/ ١٦٦، والسيوطي في الدر ٢/ ٤٨٦ .

(٤) الأثر، ذكره: عبد الرزاق في تفسيره ١ / ١٩١، والطبري في تفسيره ٦/ ١٦٦، والسيوطي في الدر ٢ / ٤٨٦ .

(٥) ذات أنواط: هي اسم شجرة بعينها، كان المشركون ينوطون بها سلاحهم، أي يعلقونه بها ويعكفون حولها . النهاية في غريب الحديث مادة (نوط) .

(٦) جزء من آية (١٣٨) سورة الأعراف .

(٧) القذّة: ريش السهم قاله ابن الأثير . وهو مثل يضرب للشيئين يستويان ولا يتفاوتان . راجع النهاية في غريب الحديث، مادة (قذّ) .

(٨) الحديث، أخرجه: البخاري، كتاب: الاعتصام، باب: قول النبي ﷺ لتتبعن سنن من كان قبلكم، والترمذي في سننه، كتاب: الفتن، باب: لتركبن سنن من كان قبلكم، وقال: هذا حديث حسن صحيح .

والذي يستفاد من هذا الحديث: أن ما خاطب الله ﷻ به اليهود والنصارى فهو لنا، أي نحن مخاطبون به، ومن فعله منا كان مذموماً مثلهم، وهذا ما أفهمه رسول الله ﷺ لصحابته – رضي الله عنهم – وفهمه التابعون من الصحابة .

ولا يظن البعض من الناس أن ما ذكره الله ﷻ عن الماضيين أنه ليس لنا ويقول: وما لنا ولهؤلاء ؟ وهذا قول باطل، فإن الأسلوب الذي سار عليه الصحابة – رضوان الله عنهم – مع القرآن الكريم وتطبيقهم له، لم يكن أبداً كذلك، فإنهم كانوا يرون أن ما خوطب به السابقون هو خطاب لهم، وهذا ما يتضح لنا من حديث رسول الله ﷺ السابق وتعليمه لهم .

المطلب الرابع : الأهداف والخصائص والفوائد

ويشمل:

أولا: **أهداف القصة القرآنية،**

ثانيا: **الخصائص الذاتية للقصة القرآنية.**

ثالثاً : **الخصائص الفنية للقصةالقرآنية .**

رابعاً: **فوائد القصة القرآنية**

المطلب الرابع

الأهداف والخصائص والفوائد

لابد أن نعلم أن القصة القرآنية قصة هادفة، فهي ليست حلية للنص القرآني، أو ترفاً فنياً، أو تأريخا لمجرد التأريخ، أو سرد لمجرد التسلية والمتعة الفنية، وهي وإن كانت ذات خصائص فنية راقية وتأثير فذ في المتلقي، فإنها صدق لا خيال فيه، وحق لا زيف فيه . وبما أن القصة القرآنية مصدرها القرآن الكريم، وهو الوحي الإلهي، فإن الأهداف المستوحاة منها هي نفس الأهداف المستوحاة من أشكال التعبير الأخرى في القرآن الكريم .

غير أن للقصة تأثيراً نفسياً ووجدانياً ذا طابع خاص، وذلك لما فيها من عرضٍ حيٍّ للفكرة، والغرض منها مجسّم في أشخاص يتحركون ويتكلمون ويتحاورون، فتعرض أمام المتلقي كما لو كانت ماثلة أمامه، وإن كانت لأقوام مضوا من قرون .

لهذا كان للقصة القرآنية أهداف، وخصائص ذاتية، وخصائص فنية، وإليك بيان كل واحدة منها على حده:

أولاً: أهداف القصة القرآنية :

إن أهداف القصة القرآنية لا تنفصل عن أهداف القرآن الكريم عامة، وعن أهداف الدعوة الإسلامية خاصة، ومما هو جدير بالإشارة إليه، أن القصة القرآنية الواحدة، قد ترد في مواضع متعددة من القرآن ؛ لهدف جديد أو عبرة جديدة، أو لتثبيت الفكرة الواحدة بعرضها بعدة أساليب، أو من عدّة زوايا، وذلك لأن تعدد ذكرها يفيد في تثبيت الأفكار، وتحقيق الأهداف والغايات، ومن أهداف القصة في القرآن الكريم:

١ – الدعوة إلى التوحيد، والإيمان بالبعث، وتثبيت أسس العقيدة في النفوس، وذلك من خلال ذكر قصص الأنبياء، وبيان وحدة دعوتهم، وبيان أن ملة الكفر كلها واحدة، وشبهاتهم أيضاً واحدة على مر العصور والأزمان، فيقول ﷻ: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** ﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾[2] .

(١) الآية (٣٦) من سورة الأنبياء .

(٢) الآية (٢٥) من سورة النحل .

٢ – تثبيت الرسول ﷺ والمؤمنين من خلال عرض صورٍ لما عاناه الأنبياء السابقون وأتباعهم، من أذى وتعذيب لأقوامهم، وكيف صبروا على هذه المحن، وكيف كانت الغلبة للإيمان وأهله .

مع بيان ما حل بأقوامهم من دمار وعذاب في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى، فسنة الله دائماً نصرة أنبيائه – عليهم الصلاة والسلام – وإهلاك الكافرين المكذبين، فيقول الله تعالى: ﴿ **وَكُلاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (١).

٣ – تعليم المسلمين فضائل الأخلاق، عن طريق القدرة العملية المتمثلة في قصص القرآن الكريم، والزجر عن الأخلاق الذميمة والفواحش، وحماية الإنسان من الوقوع في الآثام، والحض على التوبة للمسيء .

وهذا كله يكون بتقديم أمثلة لشخصيات، تمثل جانب القدوة الإيجابية: كأيوب عليه السلام في صبره على البلاء، ويوسف عليه السلام في صبره وعفته وتسامحه .

وأمثلة أخرى لشخصيات تمثل الجانب السلبي: كقارون في اغتراره بالمال والجاه، وفرعون في تعاليه وغروره وإصراره على الكفر، وقوم لوط في إصرارهم على الفواحش .

فالقرآن الكريم يحض على التمسك بمنهج هؤلاء الصالحين، ويحث على البعد عن منهج هؤلاء الفاسدين .

٤ – تمكين حقائق الإيمان والتوحيد والبعث، بالإقناع العقلي، والتأثير الوجداني، في عقل وقلب المتلقي، وذلك من خلال أحداث بعض القصص، وما فيها من حوار هادف مقنع .

كما أن تكرار هذا الإقناع وذلك التأثير بهذه الحقائق في قصص متعددة أو في قصة واحدة يسهم في تمكين هذه الحقائق في العقل والوجدان، كما يسهم في استخلاص دروس وعبر جديدة، وذلك من خلال كل عرض جديد، فيقول تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ** ﴾ (٢) .

٥ – الترغيب بالتأييد في الدنيا، والنعيم المقيم في الآخرة للمؤمنين الطائعين، والترهيب من غضب الله وعذابه في الدنيا والآخرة للجاحدين العاصين، وذلك من خلال عرض أمثلة لتأييد الله عباده المؤمنين، وعقوبته للجاحدين في الدنيا، وذلك كقصة إنجاء الله عز وجل

(١) الآية (١٢٠) من سورة هود .

(٢) جزء من آية (١١١) سورة يوسف .

لموسى عليه السلام والذين معه، من بطش فرعون وجنوده، وإغراق فرعون وجنوده في اليَمّ، وإنجاء الله عز وجل لوطاً عليه السلام وأهله إلا امرأته، وإهلاك قومه . (١)

٦ – تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم .

٧ – إظهار صدق الرسول ﷺ في دعوته، بما أخبر به عن أحوال الماضين، عبر القرون والأجيال .

٨ – مقارنة أهل الكتاب بالحجة، فيما كتموه من البينان والهدى، وتحديه لهم بما كان في كتبهم، من قبل التحريف والتبديل، وذلك كقوله تعالى: ﴿ **كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ (٢) . (٣)

ثانياً : الخصائص الذاتية للقصة القرآنية :

١ – إن مصدر القصة القرآنية هو مصدر القرآن الكريم نفسه، فهي وحي من الله عز وجل، لذا نجدها قصة هادفة، فهي ذات هدف ديني أخلاقي، لا ينفصل عن أهداف العقيدة والشريعة، غير أنها تجمع مع سمو الهدف رقي الشكل الفني .

٢ – المصدر الذي تستقي منه أحداث وشخصيات القصة القرآنية هو الكون والتاريخ، غير أن القصة القرآنية حق لا زيف فيه، ولا مدخل في أحداثها للخيال الفني، ولا للخرافات والأساطير، التي ادّعى بعض المستشرقين والمستغربين دخولها فيها، ولا للرمزية التي حاول بعضهم – ظلماً وعدواناً – حمل قصص القرآن الكريم عليها .

فالحقائق التي ترد في القصة القرآنية عن الكون، وعن طبائع النفس البشرية عموماً، وعن قصص أقوام وأشخاص بأعيانهم، هي كلها حقائق ثابتة علمياً وتاريخياً، وإن لم تقصد القصة القرآنية إلى التأريخ المجرد، بل اتخذت من حقائق التاريخ مجالاً للموعظة والاعتبار والتأسي، ودروساً واقعية يتأملها المتلقي ويتعلم منها، كما تبين مَعَنَا في عرض أهداف القصة القرآنية .

٣ – إن موضوع القصة القرآنية هو الإنسان المستخلف في الأرض، بما يدور حوله في الكون، وما يحدث له، وما ينبغي أن يكون عليه حاله، وما ينبغي أن يعرفه من أمور

---

(١) راجع: قصص القرآن الكريم د/ فضل حسن عباس ص ٤٤، ٤٥ . قصص القرآن د / محمد بكر إسماعيل ص ١٣ وما بعدها .

(٢) الآية (٩٣) من سورة آل عمران .

(٣) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٣٠٣ .

العالم المنظور والغيب غير المنظور، وحقائق الدين والإيمان والتوحيد والبعث، وما ينبغي أن يكون عليه من معتقدات وفضائل، وما ينبغي أن يتجنبه من معتقدات ورذائل، فالإنسان هو قطب الرحى في القصة القرآنية، مثلما هو قطب الرحى في الكون الذي اسْتُخلف فيه .

٤ – إن المتلقي الذي توجه له القصة القرآنية هو نفسه محورها، وهو الإنسان الذي تسوق له القصة نوراً لعقله وقلبه وتهذيباً لسلوكه .

ومن ثَمّ فقد سمت القصة القرآنية بالإنسان، حتى يمتاز عن الحيوان الذي يشترك معه في بعض الصفات، هذا السموّ الذي لا يركز على جانب واحد في هذا الإنسان، بل هو سمو روحي ونفسي، يشعر به الفرد، ويجد فيه حلاوته ولذته، وهو بعد ذلك سمو اجتماعي، تجد الجماعة فيه بغيتها وضالتها وفضيلتها .

٥ – القصة القرآنية ليست عرضاً مجرداً لحقائق التاريخ، بل هي انتقاءٌ لجوانب من التاريخ، إيجابية كانت أو سلبية ؛ لتحقق بذلك أهداف القصة المرجوة، ولذا نجدها تركز على الرقي المادي وأسباب القوة .

كما تركز علي أن التديّن الحق لا ينفصل عن الحياة العملية، ولا ينفصم عن واقع هذا الإنسان، وإنما هو مرتبط به ارتباطاً وثيقاً، بل هو جزء منه .

لهذا نجد القصة القرآنية تفصل في أسباب السعادة الروحية، وأسباب الرقي المادي ؛ حتى تتم السعادة للمؤمنين بهذا القصص، العاملين بتوجيهاته وإرشاداته .

فالقصة القرآنية قصة هادفة، وأهدافها لا تنفصل عن أهداف العقيدة والتشريع، وهي تمزج بين الإقناع العقلي والتأثير الوجداني ؛ وذلك لتحقق التأثير المطلوب في نفس المتلقي وفي سلوكه . (١)

۞۞۞

ثالثاً: الخصائص الفنية للقصة القرآنية

للقصة القرآنية خصائص فنية راقية، فهي تجمع مع سمو الهدف وصدق المضمون، رقياً في البناء الفني، ومن هذه الخصائص التي تمتاز بها القصة القرآنية مايلي:

١ – تنوع طريقة العرض: فالقرآن الكريم لا يجري في أسلوبه على نمط واحد مخصوص في قصصه كلها، بل تتنوع طرائقه ؛ تبعاً لتنوع الأغراض، وتتنوع الوسائل البيانية ؛ تبعاً

(١) راجع: قصص القرآن الكريم د/ فضل حسن عباس ص ٤٥ – ٤٧ .

لتنوع الطرق، فبعض المشاهد يقوم على استحضار الأحداث دون تدخل بالرواية، والاقتصار على التنبيه على عنوان المشهد أو موضوعه، ثم تظهر الأحداث بصورة مباشرة: مثل قصة إبراهيم عليه السلام في مشهد بناء الكعبة، فيقول تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ (١) .

وأكثر القصص القرآنية يعتمد على الحكاية والرواية، وبذلك يسيطر على الموقف ؛ لينتقي من الأحداث ما يحقق الهدف، وينسقها في إطار فني، لا يخرجها عن الواقع، ولا يترك المجال لكل ما وقع، فيخرج بها عن هدفها المسوقة لأجله: مثل قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد وملكة سبأ، وقصة يوسف عليه السلام مع إخوته .

وقد يمهد مع هذا وذاك للقصة بذكر ملخّص لها مشوّق إليها، ومنبه علي ما تنطوي عليه من مقاصد القصة القرآنية، ويعالج ما لعله يثار حولها من تشكيك: كقصة أصحاب الكهف، وبداية قصة موسى عليه السلام في سورة القصص .

وقد يمهد للقصة بمقدمة توحي بخاتمتها، كما في قصة يوسف حيث تبدأ بالرؤيا التي توحي بالخاتمة، وذلك قبل عرض الأحداث .

وقد يذكر القصة بلا مقدمات أو تمهيد مكتفياً بالإيحاء إلى محور القصة: مثل قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ .

وربما أحداث القصة وفق ترتيبها الواقعي: مثل قصة مريم – عليها السلام – في سورة مريم، وقصة إبراهيم عليه السلام في سورة الأنبياء .

فقد يمزج البيان القرآني الشخصية بالحدث مزجاً تاماً، ثم يدير المشاهد في ذلك الفلك حسبما يقتضيه الغرض التوجيهي، فهو يمزج الشخصية بالحدث، لينتج من هذا المزيج مركزٌ هو البطل الجديد الذي تدور حوله المشاهد، ذلك أن الشخصية في القصة القرآنية وسيلة لا غاية، فهي مجرد شواهد إنسانية في مختلف حالاتها، من خير أو شر أو قوة أو ضعف .

٢ – إقامة العرض على التصوير: أي أن القصة القرآنية تقيم العرض القصصي على الأسلوب التصويري، فالقرآن الكريم يتخيّر من ألوان التصوير لكل قصة ما يتناسب معها في موطنها، فإن كان للأشخاص دور رئيس في تحريك الحدث القصصي، رأيته يبرز من صفاتهم العقلية، أو النفسية، أو العاطفية، أو الجسمية، ما تتطلبه أدوارهم في القصة .

---

(١) الآية (١٢٧) من سورة البقرة .

٣ – اختلاف موقع المفاجأة في القصة: فالقصة القرآنية لا تسير علي نظام واحد في تقديم الحدث المفاجئ، الذي يسهم في النهاية ويحرك القصة إلى حلّ عقدتها الرئيسية، بل تراعي المكان والزمان المناسبين لإظهار المفاجأة .

فالهيئة التي تقدم بها القصة في مجال العقيدة غير تلك التي تكون في مجال التطبيق العملي:

ففي قصة أصحاب الجنة في سورة القلم، تأتي المفاجأة بعد بدء القصة مباشرة، فبينما هم منشغلون بالتخفي والاستتار عن المحتاجين، للهرب بمحصول جنتهم، تأتيهم المفاجأة أمام سخرية الناظرين، ذلك أن القصة مبنية علي نزوة نفسية هي الطمع والشح .

أما قصة صاحب الجنتين فالمفاجأة فيها تأتي في ختام الأحداث وبعد حواره مع صاحبه المؤمن ؛ لأن القصة مبنية علي نزوة عقلية هي الاغترار والتكبر .

وفي هاتين القصتين يجهل القارئ المفاجأة قبل حدوثها .

أما قصة نقل عرش ملكة سبأ، فالمتلقي هنا يعرف المفاجأة من أول الأمر، وفي مشهد إدخالها الصرح تكون هي والقارئ سواء، في الجهل بالمفاجأة .

٤ – تنوع وسائل ربط المشاهد بالقصة: فإن من أبرز الخصائص الفنية للقصة القرآنية، عدم الاستقصاء في عرض مشاهد القصة ؛ ارتفاعاً بها عن أسلوب السَّرد المعتاد .

ففي القصة الواحدة تجد بعض المشاهد متتابعة، وبعضها فيه فجوة، تترك لخيال القارئ ليملأها، ففي قصة أصحاب الكهف يتتابع المشهد الأول والثاني ؛ إذ هما استمرار للحوار الدائر بينهم، بشأن موقف قومهم من العقيدة، لكن هناك فجوة بين المشهد الثاني والثالث، هي الفاصل بين استقرار أمرهم على الإيواء إلى الكهف وبين وقوفنا أمام الكهف نرى الشمس تطلع عليهم وتغرب وهم في فجوة منه . وهذه الأحداث سقطت بين المشهدين ؛ لأنها لا ضرورة لها في نمو الحدث القصصي .

٥ – عدم التزام السرد القصصي: فلا يُلتزم في القصة القرآنية السرد القصصي دائماً، لكنه قد يُلتزم للوصول إلى الغاية من القصة، ووفقاً لذلك الالتزام نرى من القصص القرآنية ما تقدَّم كاملة الأحداث والمواقف في معرض واحد، كما رأينا في قصة يوسف،

ومنها ما تقدم في حلقات يُخصّ بكل حلقة منها مشهد، يتطلب هذه الحلقة من القصة فحسب، ولا مانع في أثناء ذلك من تكرار موقف مشترك بين حلقتين . (١)

۞۞۞

رابعا : فوائد القصة القرآنية

إن فوائد القصة في القرآن الكريم كثيرة، أفاد وأجاد في عرضها العلاّمة: الطاهر ابن عاشور في تفسيره، فقد أوصلها إلى عشرة فوائد، أعرضها باختصار – غير مخل – نظراً لطولها، وهي:

الفائدة الأولى: أن قصارى علم أهل الكتاب في ذلك العصر، كان معرفة أخبار الأنبياء وأيامهم، وأخبار من جاورهم من الأمم، فكان اشتمال القرآن الكريم على تلك القصص التي لا يعلمها إلا الراسخون في العلم من أهل الكتاب، تحدياً عظيماً لأهل الكتاب، وتعجيزاً لهم بقطع حجتهم على المسلمين، قال تعالى: ﴿ **تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا** ﴾ (٢) .

فكان حَمَلَة القرآن بذلك أحِقَّاء بأن يوصفوا بالعلم الذي وصفت به أحبار اليهود، وبذلك انقطعت صفة الأمية عن المسلمين في نظر اليهود، وانقطعت ألسنة المعرِّضين بهم بأنهم أمة جاهلة .

الفائدة الثانية: أن من أدب الشريعة معرفة تاريخ من سلفها في التشريع من الأنبياء بشرائعهم، فكان اشتمال القرآن على قصص الأنبياء وأقوامهم، تكليلاً لهامة التشريع الإسلامي، بذكر تاريخ السابقين، قال تعالى: ﴿ **وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ..... الآية** ﴾ (٣) .

فقد رأيت من أسلوب القرآن الكريم في هذا الغرض أنه لا يتعرض إلا إلى حال أصحاب القصة، في رسوخ الإيمان وضعفه، وفيما لذلك من أثر، سواء كان عناية إلهية أو خذلان .

وفي هذا الأسلوب لا تجد في ذكر أصحاب هذه القصص بيان أنسابهم، أو بلدانهم، إذ العبرة فيما وراء ذلك من ضلالهم أو إيمانهم .

---

(١) راجع: التصوير الفني في القرآن لسيد قطب ص ١٨٠ وما بعدها، قصص القرآن د/ محمد بكر إسماعيل ص ٨ – ١٢ .

(٢) جزء من الآية (٤٩) من سورة هود عليه السلام .

(٣) الآية (١٤٦) من سورة آل عمران .

الفائدة الثالثة: ما فيها من فائدة التاريخ، وهي معرفة ترتيب المسببات على أسبابها، في الخير والشر، والتعمير والتخريب ؛ لتقتدي الأمة وتَحْذر، قال تعالى: ﴿ **فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا** ﴾ (١) . وأيضاً لما فيها من ظهور المثل العليا في الفضيلة وزكاء النفوس، أو ضد ذلك .

الفائدة الرابعة: ما فيها من موعظة المشركين، بما لحق الأمم التي عاندت رسلها، وعصت أوامر ربها ؛ حتى يرجعوا عن ضلالهم، ويتعظوا بمصارع نظرائهم وآبائهم .

وكيف يُوَرّث اللهُ الأرض لأوليائه وعباده الصالحين، قال تعالى: ﴿ **فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ (٢)، وقال:﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ (٣)، وقال: ﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** ﴾ (٤)، وهذا في القصص التي يذكر فيها ما لقيه المكذّبون للرسل .

الفائدة الخامسة: أن في حكاية القصص، سلوك أسلوب التوصيف والمحاورة، وذلك أسلوب لم يكن معهوداً للعرب، فكان مجيئه في القرآن ابتكار أسلوب جديد، في البلاغة العربية، شديد التأثير في نفوس أهل اللسان، وهو من إعجاز القرآن ؛ إذ لا ينكرون أنه أسلوب بديع، ولا يستطيعون الإتيان بمثله إذ لم يعتادوه .

انظر إلى حكاية أحوال الناس في الجنة والنار والأعراف في سورة الأعراف، وهذا من مكملات عجز العرب عن الإتيان بمثله .

الفائدة السادسة: أن العرب يتوغل الأمية والجهل فيهم، فأصبحوا لا تهتدى عقولهم إلا بما يقع تحت الحس، أو ما ينتزع منه، ففقدوا فائدة الاتعاظ بأحوال الأمم الماضية وجهلوا معظمها، وجهلوا أحوال البعض الذي علموا أسماءه، فأعقبهم ذلك إعراضاً عن السعي لإصلاح أحوالهم، بتطهيرها مما كان سبب هلاك من قبلهم .

فكان في ذكر قصص الأمم توسيع لعلم المسلمين، بإحاطتهم بوجود الأمم ومعظم أحوالها، قال تعالى مشيراً إلى غفلتهم قبل الإسلام: ﴿ **وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ** ﴾ (٥) .

---

(١) جزء من آية (٥٢) من سورة النمل .

(٢) جزء من آية (١٩٦) من سورة الأعراف .

(٣) جزء من آية (١١١) من سورة يوسف عليه السلام.

(٤) الآية (١٠٥) من سورة الأنبياء .

(٥) جزء من آية (٤٥) من سورة إبراهيم عليه السلام .

الفائدة السابعة: تعويد المسلمين على معرفة سعة العالم، وعظمة الأمم . والاعتراف لها بمزاياها، حتى تدفع عنهم وصمت الغرور، كما وعظهم قوله تعالى عن قوم عاد: ﴿ **وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً** ﴾ (١) .

فإذا علمت الأمة جوامع الخيرات، وملائمة حياة الناس، تطلبت كل ما ينقصها مما يتوقف عليه كمال حياتها وعظمتها .

الفائدة الثامنة: أن يُنشِئ في المسلمين همة السعي إلى سيادة العالم، كما ساده أمم من قبلهم، ليخرجوا من الخمول الذي كان عليه العرب .

الفائدة التاسعة: معرفة أن قوة اللهﷻ تعالى فوق كل قوة، وأن اللهﷻ ينصر من ينصره، وأنهم إن أخذوا بوسيلتي البقاء: من الاستعداد والاعتماد ؛ سلموا من تسلط غيرهم عليهم .

وذكر العواقب الصالحة لأهل الخير، وكيف ينصرهم اللهﷻ تعالى كما في قوله: ﴿ **فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ۞ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (٢) .

الفائدة العاشرة: أنها يحصل منها بالتبع فوائد في تاريخ التشريع والحضارة، وذلك يفتّق أذهان المسلمين للإلمام بفوائد المدنية، كقوله تعالى:

﴿ **كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَ أَنْ يَشَاءَ اللهُ** ﴾ (٣)، أي في شرع فرعون يومئذ، فعلمنا أن شريعة القبط كانت تخول استرقاق السارق .

وقوله: ﴿ **قَالَ مَعَاذَ اللهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلاَ مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ** ﴾(٤)، يدل على أن شريعتهم ما كانت تَسوغ أخذ البدل في الاسترقاق، وأن الحر لا يُملك إلا بوجه معتبر .

ونعلم من قوله: ﴿ **وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ** ﴾ (٥)، وقوله: ﴿ **فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ** ﴾(٦)، أن نظام مصر في زمن موسى عليه السلام إرسال المؤذنين بالإعلام بالأمور المهمة . (٧)

---

(١) جزء من آية (١٥) سورة فصلت .

(٢) الآيتان (٨٧، ٨٨) من سورة الأنبياء .

(٣) جزء من آية (٧٦) من سورة يوسف عليه السلام.

(٤) الآية (٧٩) من سورة يوسف .

(٥) جزء من الآية (٣٦) سورة الشعراء .

(٦) الآية (٥٣) من سورة الشعراء .

(٧) راجع: التحرير والتنوير ١ / ٦٥ – ٦٨ .

المطلب الخامس: أهم الشبه التي أثيرت حول القصة القرآنية

ويشمل:

أولا: **شبهات عامة .**

ثانيا: **شبهة التكرار في القصة القرآنية .**

ثالثاً: **شبهة دخول الإسرائيليات على القصة .**

المطلب الخامس

أهم الشبه التي أثيرت حول القصة القرآنية (١)

أولا: شبهات عامة .

من الظاهر جلياً أن القصة القرآنية كانت إحدى الأهداف والمداخل التي تسلل منها بعض المستشرقين ودعاة التحرر، الذين تربوا على أفكار الغرب، ثم بعد ذلك لبسوا ثوب الوطنية، ورفعوا زوراً شعار التحرير، فهم ظنوا أن التمويه في قضية القصة القرآنية قد يسهل عليهم ما أرادوه، أكثر من غيره من بقية الموضوعات في القرآن الكريم .

فقد رأوا أن هناك عوامل مشتركة بين القصة القرآنية والقصة الحديثة، ومن هنا يمكنهم التخليط، كما يمكنهم أن يدسوا سمومهم وهم يتظاهرون بتطبيق قواعد القصة الحديثة على القصة القرآنية بحسن نية، دون أن يثيروا على أنفسهم عاصفة من المسلمين المؤمنين بكتاب ﷲ ﷻ، فمع أنهم يبثون أفكارهم وينفثون سمومهم، يعلنون مدّعين أن هذا الذي قالوه لا يتنافى مع إعجاز القرآن الكريم، بل هو يصدقه ويؤكده .

فهم يأتون باسم العلم تارة، والأدب تارة، والغيرة على القصة القرآنية تارة أخرى، ليبثوا ما في أنفسهم من شبهات، معلنين أن ذلك دفاعاً عن القرآن أمام هذه النهضة العلمية والأدبية العارمة، فإذا تم لهم التشكيك في قصص القرآن – وأن لهم ذلك – انتقلوا إلى موضوع آخر من موضوعات القرآن، مثل العبادات أو المعاملات، ثم إلى غيره .

فكان للقصة القرآنية النصيب الأوفر من خصوم الإسلام، فوجهت لها السهام من كل صوب، من المستشرقين والمبشرين، فتارةً يزعمون أنها خليط غير متجانس من القِصص الشعبية، وأخبار أهل الكتاب، وأنباء الأمم الماضية، التي كانت معروفة في عهد النبي ﷺ، وحيناً يقولون إن النبي ﷺ اختلقها، ويرمونه بالجهل في التاريخ، وغير ذلك من الأفكار الشاردة، التي كانوا يتفوهون بها، وهي كلها تتنافى مع عصمة النبي ﷺ وصدق ما جاء به .

وكما رأينا من هؤلاء رأينا من بعض دعاة التحرر من المسلمين، الذين تربوا في مدارس الغرب أو على أفكارهم، من أنكر بعض ما أخبر عنه القرآن الكريم، ومن أمثالهم:

الدكتور / **طه حسين**، الذي ادعى أن قصة إبراهيم وإسماعيل قصة نسجت قبل نزول القرآن ؛ لتوثيق العُرَى بين العرب واليهود الذين يعيشوا في الجزيرة العربية . وقد أيّد ﷲ

---

(١) راجع في ذلك: قصص القرآن الكريم د/ فضل حسن عباس ص ٥٢ وما بعدها، بلاغة القرآن للأستاذ / محمد الخضر حسين ص ٩٤، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٣٠٤، ٣٠٥.

ﷻ العلماء الأجلاء – جزاهم اللهُ خيراً – فردوا عليه مقالته رداً علمياً، مما جعله يعلن تراجعه وتوبته، والتي أرجوا من اللهُ ﷻ أن تكون توبة صادقة مقبولة .

ومنهم الأستاذ / **محمد فريد وجدي**، الذي أعلن أن القصص القرآني، ومعجزات الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – من قبيل المتشابه [1] في القرآن . وقد ردّ عليه صاحب تفسير المنار الشيخ محمد رشيد رضا – رحمه اللهُ وجزاه خيراً . ورجع الأستاذ / محمد فريد وجدي عن هذا القول فيما بعد .

ثم جاء الأستاذ / **أمين الخولي**، وقد تخرج من مدرسة القضاء العالي [2]، وتسنى له دراسة اللغة الإيطالية، الذي من الواضح أنه تأثر بها وبأفكار أهلها، ثم عين مدرساً في كلية الآداب، وكان له رأي يتلخص في وجوب تجديد الدراسات الأدبية .

والذي يهمنا هو نظرته إلى دراسة تفسير القرآن الكريم، فكان يقول: القرآن هو كتاب العربية الأكبر، ومن هنا فالواجب أن ينظر إليه أولاً وقبل كل شيء من هذه الناحية، لذا فهو لا يرضى أن يكون المقصد الأول للقرآن الكريم: بيان الهداية في العقيدة والتشريع والأخلاق، وإنما واجب العرب مسلمهم وغير مسلمهم، أن يدرسوا القرآن أولاً من حيث هو فن العربية الأقدس .

وجاء مع هؤلاء وأولئك صاحب (**الفن القصصي في القرآن**) وهي رسالة أعدت لنيل درجة الدكتوراه في أواخر الأربعينات من القرن الماضي، وكانت للباحث / محمد أحمد خلف اللهُ، والتي كان مشرفاً عليها الأستاذ / **أمين الخولي** .

وهذا البحث أثار جدلاً طويلاً، ونقده وكتب عنه الكثير من العلماء من أهل مصر وغيرهم من العالم الإسلامي ؛ وذلك لما فيه من أفكار خارجة عن الإطار الإسلامي .

وهاك لمحة سريعة: عن بعض الأفكار الواردة في هذا البحث، وعن بعض الردود التي قيلت حول البحث وصاحبه ومن أشرف عليه .

---

(١) المتشابه: هو الذي يخلوا من الدلالة الراجحة على معناه، وعليه يكون اللفظ القرآني مشترك فيه عدة معان، فيكون من قبيل المجمل، والمؤول، والمشكل . [راجع: مباحث في علوم القرآن د/ القصبي محمود زلط صـ ١٩٠، ١٩١] .

(٢) دار القضاء العالي هي كلية الحقوق حالياً .

فيزعم الكاتب أن القصص القرآني لا ينبغي أن نفهمه على أنه حقائق ثابتة، قصد القرآن إلى تقريرها، وإنما هي نمط من أنماط الخيال الخصب، والفن المدبجّ [١]، الذي تعارف عليه الناس في عصر نزول القرآن، أو جاءت تحكي ما عرفه السابقون .

هذا هو الأساس الذي بنيت عليه رسالته، مع وجود تفصيلات وآراءٍ كثيرة فيها، تحتاج إلى بسط ومناقشة، وإليك بعض هذه الآراء:

يقول الكاتب إن القصة القرآنية هي عمل أدبي متخيل، يسوق حوادث وقعت إما لبطلٍ لا وجود له، أو لبطلٍ له وجود ولكن الحوادث التي ألمت به لم تقع أصلاً، أو أنها وقعت ولكنها نظمت على أساس فني، إذْ قُدِّم بعضها وأُخِّر بعضها، أو حذف بعضها وأُضيف إلى الباقي بعض آخر، أو بولغ في تصويرها إلى حدّ يخرج بالشخصية التاريخية عن أن تكون حقيقة، إلى ما يجعلها في تعداد الأشخاص الخيالية .

كما يرى أن الأقدمين قد أخطأوا في عدّ القصص القرآني تاريخاً، فمنهج القرآن – في رأيه – هو معالجة القصة معالجة أدبية، ويعني بذلك خلق الصور والابتكار، ولذلك لا مانع من اختلاف تصور الشخصية الواحدة في القرآن .

ويفرع على هذا قوله بوجود أساطير في القرآن، زاعماً أن القرآن نفسه لم يَنْفِ عن نفسه أن تكون فيه أساطير، وإنما الذي أنكره على العرب أنهم لم يؤمنوا أنه من عند ﷲ، فإذا قال القرآن الكريم: ﴿ **وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً** ﴾ [٢] فليس معنى هذا أنه أنكر وجود الأساطير، ولكن الذي أنكره القرآن، أن يكون النبي ﷺ هو الذي اكتتبها، فكأن القرآن يقول هي أساطير ولكن ليست من عند محمد ﷺ، وإنما هي أساطير من عند ﷲ ﷻ .

ويستدل لذلك بما جاء بعد الآية الكريمة، وهو قوله: ﴿ **قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ [٣] فيقول: إن هذا القول لا يفهم منه نفي الأساطير، بل كل الذي يفهم منه أن ﷲ هو الذي أنزلها، فهي أساطير منزلة .

---

(١) المدبجّ: من الدباجة، يقال: لكلامة وشعره وكتابته ديباجة حسنة: أي أسلوب حسن . راجع: المعجم الوسيط، مادة (دبج) .

(٢) الآية (٥) من سورة الفرقان .

(٣) جزء من الآية (٦) سورة الفرقان .

إن الكاتب يسمى القصة في القرآن أسطورة، حيث يقول إن الأسطورة في مفهوم القرآن هو ما سطره الأقدمون من أخبارهم وأقاصيصهم، مستدلاً ببيان بعض المفسرين لمعنى الأسطورة بأنها ما سطره الأولون وكتبوه من أخبار الأمم .

ويقرر الكاتب أن النبي ﷺ لم يلتزم الصدق التاريخي في القصة، وهذا ما قرره المستشرقون، ولكنهم قالوا إنه كان يجهل التاريخ، فأخذ مقالتهم ولكن وضعها في قالب آخر .

فوصف النبي بالتدليس فيما سماه بالواقع النفسي، وهو مجاراة القرآن لما هو مشهور متداول عند العرب، وليس بلازم أن يكون هذا الواقع النفسي أو المشهور متفقاً مع الحق والواقع، بل هو يريد اجتزاب الناس إلى الإسلام ولو بالباطل .

هذا بعض ما جاء من سفاهات في رسالة (**الفن القصصي**) لمحمد أحمد خلف الله، ولم نحصيها أو نستقصيها .

وبادي بدء أقول: إن ماذهب إليه صاحب (**الفن القصصي في القرآن**) كان أكثر نكارة مما ذهب إليه المبشرون والمستشرقون، والذي يذيد النفس ألماً أن يكون المشرف على الرسالة أحد علماء المسلمين، الذي يرى أن القرآن الكريم هو كتاب العربية الأكبر .

إن ما ذهبا إليه – أعني الباحث والمشرف – يتعارض أولاً وقبل كل شيء مع المسلمات التي لا يختلف فيها اثنان مسلمان:

وهو أن القرآن الكريم صدق كله، وهذا ما أكدته آيات كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ** ﴾ [1]، وقوله تعالى: ﴿ **وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [2]، وقوله تعالى: ﴿ **وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ** ﴾ [3]، وهذه الآية الكريمة واضحة المعنى، حيث ذكر فيها الحق مرتين:

أما أولاً: فقوله: ﴿ **وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ** ﴾ فمعناه: أن هذا القرآن نزل على قلب النبي ﷺ من عند الله، فليس لأحد من الخلق دخل فيه، فهو تنزيل من حكيم حميد .

وأما ثانياً: فقوله:﴿ **وَبِالْحَقِّ نَزَلَ** ﴾ ومعناه: أن هذا القرآن نزل ملتبساً بالحق، فهو حق كله، لا فرق في ذلك بين قصصه وحِكَمه وأحكامه ووعده ووعيده .

---

(١) جزء من الآية (٢) من سورة البقرة .

(٢) جزء من الآية (٣٧) من سورة يونس .

(٣) جزء من الآية (١٠٥) سورة الإسراء .

لقد حدّثنا القرآن الكريم عما قاله ألذين نزل فيهم القرآن، ردّاً على القضية الأولى، وهي أن القرآن الكريم أنزله ﷻ " وبالحق أنزلناه " في مثل قوله: ﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ** ﴾(١) .

وقال ردّاً على القضية الثانية "وبالحق نزل": ﴿ **حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ** ﴾ (٢) .

وقال ردّاً على القضيتين معاً: ﴿ **وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ۞ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا** ﴾(٣).

لقد بلغت الجرأة بكاتب الرسالة ومنسّقها (المشرف) الادعاء بأن في القرآن الكريم أساطير، وبأن القرآن لم ينفي ذلك عن نفسه، ولما كان مثل هذه الدعاوي غريباً كل الغرابة لا تليق من منصف، فضلاً على أن يكون مسلماً، فضلاً على أن يكون من علماء المسلمين، حاولا أن يلصقا هذه الأقوال بأئمة هم منها براء، لكنهم للأسف حرفوا الكلم عن مواضعه .

فزعموا أن الإمام الفخر الرازي من الأقدمين، وأن الإمام محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا، من المحدثين – رحمهم ﷻ جميعاً – يرون هذا الرأي، ويعلم ﷻ أنها فرية على أئمتنا مفسري القرآن الكريم .

إن الذي يتدبر آي القرآن الكريم يدرك بلا عناء أن قضية الأساطير إنما هي اختلاق من الكافرين، وأن القرآن الكريم نفاها كل النفي وردّها كل الردّ، ويكفي أنه ما نسبها إلا للجاحدين الكافرين، فيقول تعالى: ﴿ **حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ** ﴾ (٤)، ويقول تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ۞ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ۞ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا** ﴾ (٥)، وغيهما من الآيات .

---

(١) الآية (١٠٣) من سورة النحل .

(٢) جزء من الآية (٢٥) سورة الأنعام .

(٣) الآيتان (٥، ٦) من سورة الفرقان .

(٤) جزء من آية (٢٥) من سورة الأنعام .

(٥) الآيات (٤–٦) من سورة الفرقان .

وهناك فرية لا تَقِلّ بعداً عن هذه، وهي أن القصص القرآني إنما تعنيه اللمسات الفنية فحسب، أما الصدق الواقعي والتاريخي فغير مقصود، ولذا فلقد تدرج القصص القرآني كما يتدرج أدب الأديب، في كل عمل فني .

أيضاً إن فيه تناقضاً، ثم إن فيه قصصاً لا أصل له البتة، وإنه مخالف – بعد هذا كله – لكثير مما جاء في التوراة .

ولا أدري كيف يتعامل مع هذه الرسالة وأصحابها، أنعدهم مسلمين فنكتفي بأن نقول لهم، إن هذه الأقوال تتنافى مع قدسية القرآن الكريم، كما تتنافي مع عصمة النبي وإخوانه من الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام أجمعين – أم يردّ عليهم بما يردّ على المستشرقين والمبشرين ؟ .

أما دعوى التناقض فعجيبة غريبة ؛ لأن من يعرف أولى مسلمات المنطق لا يصدر عنه هذا القول ؛ لأن من المعلوم أن التناقض هو اختلاف قضيتين كمّاً وكيفاً، والنقيضان كما يقولون لا يجتمعان، وذلك مثل السلب والإيجاب، كأن يقول أحدهم: " جاء أخوك "، ويقولآخر: " لم يجئ أخوك "، أما ما سماه تناقضاً فهو مصطلح خاص بهما .

فإذا كانت البشارة حيناً لإبراهيم عليه السلام كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلاَمٍ عَلِيمٍ** ﴾ (١) وحينا آخر لزوجه، كما قال:﴿ **وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ** ﴾ (٢) . وإذا نسب القول إلى فرعون حيناً، فقال تعالى:﴿ **قَالَ لِلْمَلأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ** ﴾ (٣)، وإلى الملأ حيناً آخر، فقال: ﴿ **قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ** ﴾ (٤) .

فالعقلاء مجمعون على أن هذا ليس من التناقض في شيء ؛ لأنه يمكن الجمع بين هذه الأقوال، بل إن هذا هو لبّ الإعجاز، ذلك أن القصة القرآنية تتلائم بكل اتساق مع موضوع السورة التى ذكرت فيها، فكون البشارة لإبراهيم عليه السلام، كما جاء في سورة الحجر، وكونها لامرأته كما جاء في سورة هود عليه السلام، أمر منسجم مع موضوع كل من السورتين، وقول فرعون في سورة الشعراء متلائم مع موضوعها تماماً ؛ لأن سورة الشعراء هي أكثر السور القرآنية التى أبرزت لنا المحاورة بين سيدنا موسى عليه السلام وبين فرعون .

---

(١) الآية (٥٣) من سورة الحجر .

(٢) جزء من آية (٧١) سورة هود عليه السلام .

(٣) الآية (٣٤) من سورة الشعراء .

(٤) الآية (١٠٩) من سورة الأعراف .

أما التدرج المزعوم، فنقول في الرد عليه: إن القصص القرآني منذ أول العهد المكي إلى آخر ما نزل في المدينة النورة – على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم – كان نسيج وحدة واحدة ونسقاً واحداً، لا فرق بين الأقصوصة والقصة المتوسطة أو القصة الطويلة .

وأما الادعاء بأن هناك قصصاً لا أصل له، كقصة موسى مع العبد الصالح، فهو أمر يحتاج إلى بينة، وكيف يجوز لأحد أن ينكر ما شاء ويثبت ما شاء دون دليل ؟ ولو فتح هذا الباب على مصراعيه لفسدت الأرض، واتخذ كل واحد الهوى مركباً والغواية سلّماً .

ولعلّ الحجة عند صاحب هذا القول، أن هذه القصة لم تذكر في التوراة، وهنا نتسائل متى كانت التوراة هي الحكم الذي يتحاكم إليه المسلمون أو غيرهم .

لقد أحدثت قضية هذا الكتاب (**الفن القصصي في القرآن**) ضجة كبيرة في وقتها، بين العلماء والأدباء، وعلى أعمدة الصحافة اليومية، والمجلات الأدبية .

وقد تناول كثير من العلماء من مصر ومن العلم الإسلامي والعربي – جزاهم ﷲ خيراً – الرد على الرسالة وما فيها من السفاهات التي تتعارض مع صحيح الدين، وسوف أكتفي بذكر بعض العلماء الذين تناولوا الرد على الرسالة وصاحبها ومشرفها، ومنهم:

الأستاذ / أحمد الشايب – رحمه ﷲ – وكيل كلية الآداب – في ذاك الوقت – جامعة القاهرة .

والشيخ /محمد الخضر حسين – رحمه ﷲ – شيخ الأزهر الأسبق . والأستاذ / أحمد أمين – رحمه ﷲ – والذي كان عضواً في لجنة المناقشة . والأستاذ / على الطنطاوي .

وأيضاً ممن كان لهم دور بارز في ذلك، مجلة الرسالة والتي كان يصدرها الأستاذ / أحمد حسن الزيات – رحمه ﷲ . ومجلة الأزهر، الَّتَيْن أسهم كثير من كتابهما في مناقشة هذه القضية .

وأختم هنا الكلمة بما صدر من فتوى لعلماء الأزهر الشريف، بشأن كاتب الرسالة، والمشرف عليها، حيث أجمعوا على تكفيرهما، وبنوا حكمهم على ما يلي:

١ – قوله: إن الحرية العقلية تقتضي عدم القيد بالصدق العقلي، ولا بتصوير الحقائق تصويراً صادقاً، بل قد يتقول القرآن ما لم يحصل ولن يحصل .

٢ – قوله: إن تاريخ الأنبياء الوارد في القرآن، لا ينبغي أن يؤخذ على أنه حقائق.

٣ – قوله: إن القصص القرآني قد يكون لتصوير واقع نفسي لا لحوادث حصلت، وإنه حرب أعصاب لا أقل ولا أكثر .

٤ – قوله: إن القرآن يشتمل على الأساطير وما فيها من حوادث ملفقة أو مكذوبة .

٥ – قوله: إن مصادر القصص القرآني هي: كتب الأديان الأخرى، والحكايات الشعبية، والأفراد العاديّون من الناس، والخلط والمزج بين عناصر القصص الشائعة في عدة أمم .

إن لوثة المادية، والشعور بالضعف، وعدم رسوخ العقيدة، وضعف الإيمان، والثقة بأعداء هذا الدين، وشهوة الظهور، كانت تلك الأسباب المباشرة التي دعت أولئك فحملتهم على الانحراف الخطير، ﴿ **يُخَادِعُونَ اللهَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ** ﴾ (١) .

وأخيراً نتساءل: هل هناك كتاب في الدنيا تحطمت على صخرته الصلبة الشوائب والشبهات والأباطيل غير هذا القرآن ؟ .

ومما لا شك فيه أنه قد أثير حول القرآن الكريم عامة، وحول القصة القرآنية خاصة، بعض الشبه، التى خلقت جدلاً كبيرا عند كثير من العلماء، وذلك في القديم والحديث، وأهم هذه الشبه – عندي والله أعلم – هما: شبهة التكرار في بعض الآيات أو بعض الجمل . وشبهة دخول الإسرائيليات في القصص القرآني . وسوف أتناول هاتين الشبهتين بشيء من التفصيل:

۞۞۞

ثانياً: شبهة التكرار

إن الناظرون في كتاب الله تعالى من أجل تلاوته وتدبره، أو بهدف التشكيك والطعن فيه، يجدون لأول وهلة أن هناك قضايا ذكرت أكثر من مرة، وفي أكثر من موضع وخاصة في القصص، وموضوعات العقيدة، وبعض الجمل والآيات الأخرى، وسموا ذلك تكرار .

ومع اجتماعهم على هذه التسمية – وهي التكرار – اختلفت فيه مذاهبهم، وتعددت مشاربهم، وتلك طبيعة في أحوال الناس ؛ فالكثرة الكثيرة من المتدبرين رأوا أن هذا التكرار سحر بيان، وتثبيت بنيان، فعدّوه بلاغة وإعجاز، ووجدوا فيه منهجاً قويماً، وهدفاً عظيماً، من مناهج التربية وأهدافها، وحاولوا أن يبرهنوا على ذلك ببراهين مما عرفته العرب في كلامها .

وفئة قليلة عميت أو تعامت هيمن عليها الحقد، فعدّت هذا مثلبة ومطعناً في كتاب الله ﷻ، وهؤلاء لم يظهروا إلا بعد أن فسد الزوق البياني، وضعفت السليقة العربية ؛ لذا رأينا

(١) الآية (٩) من سورة البقرة .

أن هذه القضية لم تظهر مبكرة، فلم نسمع شيئاً عنها حتي من أعداء القرآن، الذين كانوا ذوي سلائق سليمة في اللغة .

بل على العكس من ذلك، فإننا وجدنا أن هذا القرآن يملك عليهم كل شيء وإن لم يؤمنوا به .

ولكن قضية الغمز في أسلوب القصة القرآنية، ظهرت فيما بعد، حينما فسد المزاج اللغوي، واجتمع الطاعنون على دين الله، فبدأ الحديث عن شبهة التكرار .

هذا وقد شمر العلماء عن سواعد الجِدِّ ليردّوا إلى النحور الظالمة سهام الحقد ؛ فبيّنوا أن اللفظ حينما يكرر في الحس فإنما يقرر في النفس، وإليك بعض أقوال العلماء، القدامى والمحدثين في قضية التكرار في القرآن .

۞۞۞

نظرة العلماء القدامى حول قضية التكرار في القصص القرآني

لقد تعرض المفسرون والكاتبون في علوم القرآن لهذه القضية، فلم يألوا جهداً في دراستها، ومن أقدم الذين تعرضوا لقضية التكرار عرضاً موجزاً، الإمام ابن قتيبة [1] فيقول رحمه الله:

وأما تكرار الأنبياء والقصص، فإن الله ﷻ أنزل القرآن نجوماً في ثلاث وعشرون سنة، بفرض بعد فرض ؛ تيسيراً منه على عباده، وتدريجاً لهم إلى كمال دينه، ووعظ بعد وعظ، وناسخ بعد منسوخ، استعباداً لهم واختباراً لبصائرهم، يقول تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلاَئِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا** ﴾ [2] .

ثم يقول: وكانت وفود العرب تردُ على رسول الله ﷺ للإسلام، فيقرئهم الرسول ﷺ شيئاً من القرآن، فيكون ذلك كافياً لهم، وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة .

---

(١) ابن قتيبة: هو عبد الله بن مسلم بن قتيبه الدينوري، أبو محمد، من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين، ولد ببغداد، وسكن الكوفة، ثم ولي قضاء الدينور مدة فنسب إليها، وتوفي ببغداد، من كتبه: تأويل مختلف الحديث، وأدب الكاتب، والمعاني، والمعارف، وتفسير غريب القرآن، وغيرهم، مات سنة ٢٧٦هـ . راجع: الأعلام ١٣٧/٤، تاريخ بغداد ١٧٠/١٠ .

(٢) الآية (٢١) من سورة الفرقان .

فلو لم تكن الأنباء والقصص مثاة ومكررة لوقعت قصة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى قوم، وقصة نوح إلى قوم، فأراد الله بلطفه ورحمته أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض، ويلقيها في كل سمع، ويثبتها في كل كل قلب . (١)

ثم جاء الإمام الخطابي (٢)، وكرّ على شبهات المعارضين والمعاندين، ومنها شبة التكرار فيقول: وأما ما عابوه من التكرار، فإن تكرار الكلام على ضربين:

أحدهما: مذموم، وهو ما كان مستغنى عنه، غير مستفاد به زيادة معنى لم تستفاد من الكلام الأول ؛ لأنه حينئذ يكون فضلاً من القول، ولغواً، وليس في القرآن شيء من هذا النوع .

والضرب الآخر: ما كان بخلاف هذه الصفة، فإن ترك التكرار في الموضع الذي يقتضيه، وتدعوا الحاجة إليه، فيه مثل تكلف الذيادة في وقت الحاجة إلى الحذف والاختصار، وإنما يحتاج إليه ويحسن في الأمور المهمة، التى قد تعظم العناية بها، ويخاف بتركه وقوع الغلط والنسيان .

وقد أخبر الله ﷻ بالسبب الذي من أجله كرر الأقاصيص والأخبار في القرآن، فقال ﴿ **وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿ **وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا** ﴾ (٤). (٥)

مما سبق ندرك أن أبا سليمان الخطابي يحدد شرطين اثنين لكي يكون التكرار مذموماً: **أحدهما:** أن لا يكون هناك حاجة إلى التكرار . **وثانيهما:** أن لا يكون في التكرار زيادة، أما إذا كان في التكرار زيادة، وكان في الأمور المهمة التى تعظم العناية بها ؛ فإنه يكون تكرار محمود .

ثم يأتي الإمام الزركشي في كتابه (البرهان) ويتعرض لقضية التكرار في القرآن عامة، وإلى التكرار القصة خاصة، فيقول:

---

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ١٨٠ – ١٨٢ .

(٢) الخطابي: هو الإمام أبو سليمان الخطابي، المتوفى سنة (٣٨٨ هـ) .

(٣) الآية (٥١) من سورة القصص .

(٤) جزء من آية (١١٣) سورة طه .

(٥) راجع: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: للرماني، والخطابي، والجرجاني، ورسالة الخطابي هي: بيان الإعجاز ص ٥٢، ٥٣ .

" وحقيقة إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنىً، خشية تناسي الأول لطول العهد به ؛ فإن أعيد لا لتقرير المعنى السابق لم يكن منه، كقوله تعالى:﴿ **قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۞ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ۞ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ۞ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ** ﴾ [1].

فأعاد قوله:﴿ **قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي** ﴾ بعد قوله: ﴿ **قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ** ﴾ لا لتقرير الأول، بل لغرض آخر، لأن معنى الأول الأمر بالإخبار أنه مأمور بالعبادة لله والإخلاص له فيها، ومعنى الثاني: أنه يخص الله وحده دون غيره بالعبادة والإخلاص .

واعلم أنه إنما يحسُن سؤال الحكمة عن التكرار إذا خرج عن الأصل، أما إذا وافق الأصل فلا، ولهذا لا يتوجه سؤالهم: لم كرر " أياك " في قوله: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ [2] [3].

۞۞۞

فوائد تكرار القصة القرآنية

لقد ذكر العلماء لقضية التكرار لبعض القصص في القرآن الكريم فوائد جمة، منها:

إحداهما: أنه إذا كرر القصة زاد فيها شيئاً، ألا ترى أنه ذكر في عصا موسى عليه السلام أنها حَيّة تسعى [4]، وذكرها في موضع آخر ثعباناً [5] .

وفائدته: أن ليس كل حية ثعباناً، وهذه عادة البلغاء، أن يكرر أحدهم في آخر خطبته أو قصيدته كلمة لصفة زائدة .

الثانية: أن الرجل كان يسمع القصة من القرآن، ثم يعود إلى أهله، ثم يهاجر بعده آخرون يحكون عنه ما نزل، بعد صدور الأولين، وكان أكثر من آمن به مهاجرياً .

---

(١) الآيات (١١– ١٥) من سورة الزمر .

(٢) الآية (٥) من سورة الفاتحة .

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣/١٠، ١١ .

(٤) الآية هي: (فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى) [سورة طه: ٢٠] .

(٥) الآية هي: (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ)[سورة الأعراف: ١٠٧، وسورة الشعراء: ٣٢].

فلولا تكرر القصة، لوقعت قصة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى آخرين، وكذلك سائر القصص، فأراد الله ﷻ اشتراك الجميع فيها، فيكون فيه إفادة القوم وزيادة تأكيد وتبصرة لآخرين وهم الحاضرون .

الثالثة: تسلية لقلب النبي ﷺ، بما اتفق للأنبياء مثله مع أممهم، قال تعالى: ﴿ **وَكُلاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ** ﴾ (١).

الرابعة: أن إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة، وأساليب مختلفة، لا يخفى ما فيه من الفصاحة .

الخامسة: أن الدواعي لا تتوفر على نقلها كتوفرها على نقل الأحكام التشريعية، فلهذا كررت القصص دون الأحكام .

السادسة: أن الله ﷻ أنزل هذا القرآن، وعجز القوم عن الإتيان بمثل آية، لصحة نبوة محمد ﷺ، ثم بين وأوضح الأمر في عجزهم، بأن كرر ذكر القصة في مواضع، إعلاماً بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأي نظم جاءوا وبأي عبارة عبروا .

السابعة: أنه لما سَخِر العرب من القرآن، قال ﴿: ﷻ **فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ**﴾(٢)، وقال في موضع آخر: ﴿ **فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ** ﴾ (٣)، فلو ذكر قصة آدم عليه السلام مثلاً في موضع واحد، وكتفى بها، لقال العربي بما قال الله تعالى: ﴿ **فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ** ﴾، " ايتونا بسورة من مثله أنتم " ؛ فأنزلها الله ﷻ في تعداد السور دفعاً لحجتهم من كل وجه .

الثامنة: أن القصة الواحدة من القرآن، كقصة موسى عليه السلام مع فرعون – وإن ظُنَّ أنها لا تغاير الأخرى – فقد يوجد في ألفاظها زيادة ونقصان وتقديم وتأخير .

وتلك حال المعاني الواقعة بحسب تلك الألفاظ ؛ فإن كل واحدة لا بدّ وأن تخالف نظيرتها من نوع معنى زائد منه، لا يُوقف عليه إلا منها دون غيرها ؛ فكأن الله ﷻ فرَّق ذكر ما دار بينهما وجعله أجزاء، ثم قسم تلك الأجزاء على تارات التكرار لتوجد متكررة فيها .

---

(١) الآية (١٢٠) من سورة هود .

(٢) جزء من الآية (١٣) سورة هود عليه السلام.

(٣) جزء من الآية (٢٣) سورة البقرة .

ولو جمعت تلك القصص في موضع واحد لأشبهت ما وجد الأمر عليه من الكتب المتقدمة، من انفراد كل قصة منها بموضع، كما وقع في القرآن الكريم بالنسبة لسورة يوسف عليه السلام خاصة، فاجتمعت في هذه الخاصية من نظم القرآن عدة معانٍ عجيبة:

منها: أن التكرار فيها مع سائر اللفاظ لم يوقع في اللفظ هجنة، ولا أحدث ملالاً، فباين بذلك كلام المخلوقين .

ومنها: أنه ألبسها زيادة ونقصان، وتقديماً وتأخيراً ؛ ليخرج بذلك الكلام أن تكون ألفاظه واحدة بأعيانها، فيكون شيئاً معاداً، فنزهه عن ذلك بهذه التغييرات .

ومنها: أن المعاني التي اشتلت عليها القصة الواحدة من هذه القصص، صارت متفرقة في تارات التكرير، فيجد البليغ – لما فيها من التغيير – ميلاً إلى سماعها ؛ لما جبلت عليه النفوس من حبّ التنقل، في الأشياء المتجددة، التي لكل منها حصة في التلذاذ به مستأنفة .

ومنها: ظهور الأمر العجيب في إخراج صور متباينة في النظم بمعنى واحد، وقد كان المشركون في عصر النبي ﷺ يعجبون من اتساع الأمر في تكرير هذه القصص والأنباء مع تغاير النظم، وبيان وجوه التأليف، فعرّفهم الله عز وجل أن الأمر بما يتعجبون منه مردود إلى قدرة من لا يلحقه نهاية، ولا يقع على كلامه عدد ؛ لقوله تعالى: ﴿ **قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا** ﴾ (١) (٢).

هذا: ويضيف صاحب التحرير والتنوير بعض فوائد التكرار علاوة على ماذكر سابقاً، وهي:

التاسعة: رسوخها في الأزهان بتكريرها .

العاشرة: أن يسمع اللاحقون من المؤمنين، ذكر القصة القرآنية التى كانت قد فاتتهم قبل إسلامهم، أو في مدة مغيبهم، مُمَاثِلَتُها ؛ فإن تلقي القرآن عند نزوله أوقعُ في النفوس من تطلبه من حافظيه .

---

(١) الآية (١٠٩) من سورة الكهف .

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣/٢٥-٢٨ .

الحادية عشر: أن جَمْعَ المؤمنين جميع القرآن حفظاً كان نادراً، بل تجد البعض يحفظ بعض السور، فيكون الذي حفظ إحدى السور التي ذكرت فيها قصة معينة عالماً بتلك القصة، كعلم من حفظ سورة أخرى ذكرت فيها تلك القصة . (١)

وبعد عرض ما تقدم يذهب الدكتور / فضل حسن عباس، إلى نفي التكرار عن القصص القرآني، ويبدأ ذلك بتعريف معنى التكرار فيقول:

ماهو التكرار الذي نعنيه ؟

التكرار – كما نراه – هو إعادة اللفظ نفسه في سياق واحد، ولمعنى واحد، فإذا لم يتوفر هذان الشرطان، أي إذا لم يكن المعاد اللفظ نفسه، أو إذا ذكر اللفظ أكثر من مرة ولكن لكل موضع سياقه الخاص ومعناه الخاص ؛ فإن ذلك لا نسميه تكرار أبداً، هذا هو التعريف الدقيق للتكرار كما يظهر لنا .

ثم يقول: وبادئ بدء ؛ إننا لا ننكر على الذين ذهبوا إلى القول بوجود التكرار في القرآن، معللين هذا بأنه لا يخرج عن الأساليب التي عرفها العرب ؛ وبأنه إنما يراد به التأثير على النفوس، حتى يقرر فيها ما يكرر .

أقول: لا ننكر على أولئك ؛ وليس معنى هذا أننا نتفق معهم فيما ذهبوا إليه، وإنما نؤثر أن نرجئ الحكم بعد أن نعرض لهذه القضية من جميع جوانبها، فنقول: الموضوعات التي عرض لها القرآن الكريم مع كثرتها نجملها في هذه الأمور الرئيسة الثلاث:

١ – الأحكام: وتشمل ما اصطلح عليه فيما بعد بالعبادات، والمعاملات، والأحوال الشخصية، والحدود .

٢ – العقيدة: وتشمل الألوهية، والرسالة، واليوم الآخر .

٣ – وأما الموضوع الثالث فقصص الأنبياء – عليهم السلام– وأخبار الأمم الماضية.

وقد أجمع العلماء على أنه لا تكرار في آيات الأحكام، وإنما الذي يمكن أن يكون فيه تكرار هما الموضوعان الأخيران: آيات العقيدة والقصص، هذا من حيث الموضوع .

أما من حيث اللفظ فقد قالوا: إن هناك جُملاً أو آيات ذكرت أكثر من مرة، مما يوجب القول بأنها مكررة، فالتكرار عند هؤلاء: هو أن يذكر الموضوع أو الجملة أو الآية أكثر من مرة، ولسنا معهم في هذا التعريف . والذي يهمنا هنا هو موضوع القصة، ونتسائل:

هل في القصص القرآني تكرار ؟ ولماذا لم يعرض القصص مرة واحدة ؟

---

(١) راجع: التحرير والتنوير ٦٨/١، ٦٩ .

لا نحب أن نتعجل الإجابة هنا – أيضاً – ولا بد أن نقرر مايلي:

١ – أنه لم تلتزم القصة القرآنية طريقاً واحداً، من حيث الطول والقصر، والإجمالُ والتفصيل .

فهناك القصة المفصلة: كما في قصة موسى عليه السلام في سورة الأعراف، وقصة نوح عليه السلام في سورة هود .

وهناك القصة المجملة: كما في قصة نوح عليه السلام في سورة الأعراف، وقصة موسى عليه السلام في سورة هود عليه السلام، فلقد أجملت كل من السورتين ما فصلته الأخرى .

كذلك سورة يونس فصلت بعض التفصيل في قصة موسى عليه السلام وأجملت في قصة نوح عليه السلام .

٢ – إن كل قصة قرآنية مجملة أو مفصلة، قصيرة أو غير قصيرة، جاءت تفي بالغرض الذي سيقت من أجله، فليس قصر القصة يشعر القارئ بشيء من النقص، بل ربما يذكر في القصة القصيرة ما لا يذكر في غيرها، ولعلّ خير مثال على ذلك ما ذكرته قصة نوح عليه السلام في سورة العنكبوت .

٣ – إن بعض القصص القرآني لم يذكر إلا مرة واحدة، وبعضه الآخر ذُكر أكثر من مرة ؛ ولعلنا – ونحن نقرأ هذا القصص – ندرك السبب في ذلك، فالقصة التي ذكرت أكثر من مرة في كتاب الله عز وجل، كانت ذات صلة وثيقة بقضيّة الدعوة والدعاة إلى الله جل جلاله .

أما التي ذكرت مرة واحدة، فمع سمو الحقائق التي قررتها، وما فيها من مناهج تربوية، وغايات رائدة، إلا أنها لم تكن تتحدث عن مجال الدعوة، وعما كان بين الأنبياء – عليهم السلام – وأممهم، وما لاقاه هؤلاء من أولئك، وإنما كان حديثها في مجالات اجتماعية، وجوانب إنسانية، وقيم خلقية، تمد الباحثين والعلماء بقبس لا يخبوا علي مدى الدهر .

والقصة الوحيدة التي خرجت عن هذه القاعدة، فذكرت أكثر من مرة، وليس لها صلة مباشرة بالدعوة والدعاة، هي قصة آدم عليه السلام، ولكن إذا عرفنا أن قصة آدم أبى البشر جاءت تحدّثنا عن النواحي الفطرية، والجوانب الرئيسية في حياة الإنسان، وعن الاستعدادات والغرائز التي تتكون منها طبيعته، إذا عرفنا ذلك أدركنا السر الذي من أجله كرر قصة آدم عليه السلام في أكثر من سورة .

٤ – إن بعض السور القرآنية ذُكر فيها أكثر من قصة من هذا اللون – أعني اللون الذي لم يذكر إلا مرة واحدة – فإذا نظرنا لهذا القصص في هذه السورة، وجدناه ذا ترتيب بديع،

عجيب الشأن ؛ إذْ هو يكوِّن منهجاً متكاملاً لما ينبغي أن يكون عليه المسلمون، أفراداً وجماعات .

ولنأخذ سورة الكهف مثلاً ؛ فلقد انفردت بقصص ثلاث لم تذكر في غيرها، وهي: قصة أهل الكهف، وقصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح، وقصة ذي القرنين، والذي يبدوا لنا – والله أعلم بما ينزل – أن ذلك إيحاء للمسلمين ليدركوا العناصر الرئيسية التي لا بدّ أن تتوافر في شخصيتهم .

فقصة أهل الكهف تمثل عنصر العبادة واعقيدة، ولمّا كان أكثر ما يزلزل هذه العقيدة في النفوس ويفسد هذه العبادة، أمران اثنان، هما: طغيان المال، وإغواء الشيطان، ذُكرا بعد هذه القصة مباشرةً، حتى يستطيع المسلمون أن يحصِّنوا عقائدهم، ويحافظوا على عباداتهم .

فذُكرت قضية المال وما يسببه من طغيان في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا** ﴾ (١) .

وذُكر الأمر الآخر وهو اجتيال الشياطين للناس في قوله عز وجل: ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ** ﴾ (٢) .

وبعد ذلك ذُكرت القصة الثانية، وهي قصة سيدنا موسى عليه السلام مع العبد الصالح، وهذه القصة إنما تبين عنصراً آخر لا بدّ أن يتوافر في للمسلم، وهو عنصر العلم ؛ ذلك أن العبادة بلا علم لا يأمن صاحبها على نفسه أن يضلّ ويطغى، وتزلّ قدم بعد ثبوتها، ولعل في حديث جريج ما يثبت ذلك .

فقد أخرج الإمام مسلم بسنده، عن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَال:

(لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلاَّ ثَلاَثَةٌ: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلاً عَابِدًا، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً فَكَانَ فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ . فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ الْغَدِ، أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ . فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ الْغَدِ، أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ . فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاتِهِ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لاَ تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُومِسَاتِ .

---

(١) الآية (٣٢) من سورة الكهف .

(٢) الآية (٥٠) من سورة الكهف .

فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ، وَكَانَتْ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لأَفْتِنَنَّهُ لَكُمْ، قَالَ: فَتَعَرَّضَتْ لَهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ، فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ .
فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ . قَالُوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ فَوَلَدَتْ مِنْكَ، فَقَالَ: أَيْنَ الصَّبِيُّ، فَجَاءُوا بِهِ، فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ، فَصَلَّى فَلَمَّا انْصَرَفَ، أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ، وَقَالَ: يَا غُلاَمُ مَنْ أَبُوكَ ؟ قَالَ: فُلاَنٌ الرَّاعِي، قَالَ: فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ، وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ، وَقَالُوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ لا أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ، فَفَعَلُوا ..... الحديث) [1]

وأما القصة الثالثة في سورة الكهف: فهي قصة ذي القرنين، وهي تمثل العنصر الثالث في حياة المسلمين، وهو عنصر الجهاد .

وهكذا رأينا هذه السورة الكريمة تحدثنا عن القضايا الأساسية التي لا بدّ للمسلمين منها وهي: العقيدة، والعلم، والجهاد . ولذلك يسنُّ قراءتها يوم الجمعة [2].

٥ – أن القصص الذي ذكر أكثر من مرة في كتاب اللهﷻ، لا نجد منه قصة واحدة ذكرت في سورتين اثنتين بطريقة واحدة، بل نجد كل قصة جاء فيها ما لم يجئ في الأخرى، ففي كل قصة من المشاهد والجزئيات والأحداث ما تفردت به السورة التي ذكرت فيها القصة .

صحيح أن هناك قضايا مشتركة اقتضاها السياق، ولكن هذه القضايا المشتركة لم تأت على أسلوب واحد .

ولكي نصل إلى نتيجة حاسمة في هذا الأمر، لا بدّ أن نلم به من زوايا ثلاث:

---

(١) الحديث بلفظه، أخرجه: مسلم، كتاب: البر والصلة، باب: تقديم برّ الوالدين على التطوع بالصلاة، وأخرجه البخاري في صحيحه بشرح ابن حجر، مختصرا، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قوله تعالى: (وذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها)، وأحمد في مسنده ١٥٣/٨ حديث (٨٠٥٧) .

(٢) فقد أخرج الدارمي في سننه، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل سورة الكهف، عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: (مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنْ النُّورِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ) . والحديث ذكره: والهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٣٠٧، وعزاه إلى الطبراني في الأوسط، وقال: رجاله رجال الصحيح .

أولاً: من حيث الألفاظ والتراكيب التى ذكرت في كل قصة .
ثانياً: من حيث الموضوعات والجُزْئِيات والمشاهد والمواقف الموزعة على السور التي ذكرت فيها القصة .
ثالثاً: من حيث اختصاص كل سورة بما جاء فيها من هذه المواقف والمشاهد .
ولا بدّ وأن ننبه هنا على أمر مهم، أهمله كثيرون من الباحثين الذين عالجوا قضية القصة في القرآنية، وهو أن الباحث كي تكون نتائجه مقبولة، وأحكامه صحيحة، لا بدّ له من أن يقوم بدراسته دراسة موضوعية، وهذه لا تتم له إلا حينما تكون ركيزته الأولى بحث القصة من حيث ترتيب النزول، ليعرف ما الذي نزل أولاً، وما الذي نزل بعد ذلك .
هذه هي الدراسة الموضوعية التي يمكننا أن نصدر بها أحكاماً صحيحة، وأن نصل بها إلى نتائج منطقية، والحق أن هذه الركيزة ليست لدراسة القصة فحسب، بل لا بدّ منها إذا أردنا أن نتناول أي موضوع من موضوعات القرآن الكريم، سواء أكان ذلك في الأحكام أم في العقيدة أم في القصة .

ماذا نقصد بنفي التكرار عن القصص القرآني ؟

قد يظن بعض الناس أن نفي التكرار عن القصة القرآنية أن تقسم القصة إلى مشاهد وأحداث، أو موضوعات،، فيذكر كل موضوع أو حدث أو مشهد في سورة، بحيث لا يذكر في سورة ما يذكر في غيرها، بل تختص كل سورة بذكر شيء معيّن .
فيذكر مولد موسى عليه السلام في سورة، وخروجه من مصر في سورة، وإرساله إلى فرعون في سورة، ودعوته لبني إسرائيل وما قاساه في سورة، فيخصص كل سورة بحدث معين، وهكذا يقال في قصة نوح وإبراهيم وغيرهما من أنبياء الله – صلوات الله وسلامه عليهم .
ومثل هذا الصنيع يذكرنا بما اعترض به بعضهم على كتاب الله، حيث قالوا: ينبغي أن تقتصر كل سورة على موضوع معين، فتذكر العبادات في سورة، والمعاملات في سورة، وأمور الزواج في سورة، والأخلاق في سورة، والحديث عن البعث في سورة، كأنما يريدون أن يجعلوا القرآن مثل كتاب من الكتب التي يتحدث كل منها عن موضوع معيّن .
ولقد فات هؤلاء وأولئك أن القرآن كتاب الله تعالى، أنزله الله عز وجل على نبيه ﷺ منجماً لحكم كثيرة ذكرت في كتب التفسير وعلوم القرآن .
والقرآن بهذا الترتيب الذي أراده الله تعالى منذ الأزل، كان له تأثيره في النفوس، وهيمنته على القلوب، ولو أن القصة ذكرت – كما قالوا – موزعة مشاهدها وأحداثها على سور متعددة، لفقدت القصة رونقها وجمالها، وذهب لب الإعجاز فيها، ولكان عملاً ميسوراً لكثير من الناس .

فليس نفي التكرار إذاً أن لا يذكر حدث من أحداث القصة في سورة أو أكثر، إنّ هناك أموراً كلية، وأحداثاً مهمة رأيسية، لا يجوز أن تخلوا منها سورة من السور، ولو خلت منها لخلت القصة من رحيقها الشذي، وسلسبيلها العزب .

وعلى هذا فالمنهج القصصي في القرآن الكريم هو المنهج البديع المعجز، حيث ذكرت القصة في سور كثيرة، خصت بعض السور بذكر حدث واحد، ثم توزعت هذه المشاهد والأحداث على السور التي ذكرت فيها القصة، قلت أم كثرت، بحيث تجد في كل سورة ما لا تجده في غيرها .

وبحيث يذكر في كل سورة ما يتلاءم مع موضوعها وسياقها، وبحيث تذكر القصة في السورة في الموضع الذي اختيرت له، والذي اختير لها .

وقد آثرت أن أنبه على هذه القضية ؛ لأنني رأيت أن بعض الناس يظنون أن نفي التكرار أن تقطع الصلات والوشائح والقربات بين السور المتعددة في كل قصة من القصص، حيث يذكر كل حدث من القصة في سورة خاصة كما بينته من قبل .

إن مجيء القصة على ما جاءت عليه في كتاب ﷲ ﷻ هو الذي يفتح للدارسين أبواباً للتأمل والاستنتاج والمقارنة ليدركوا سرّ العظمة في هذا الكتاب . (١)

۞۞۞

ثالثاً: القصة القرآنية والإسرائيليات (٢)

مما لا شك فيه أنّ ظاهرة الإسرائيليات (٣) قد استطاعت أن تنفذ إلى قصص الأنبياء كما هي موجودة في كتب التفسير والتاريخ، ولعل من أهم العوامل التي أدت إلى شيوع ظاهرة

---

(١) راجع: قصص القرآن الكريم د/ فضل حسن عباس ص ٦٥ وما بعدها.

(٢) إن شاء الله تعالى سوف أتناول قضية الإسرائيليات ودخولها على القصة القرآنية على وجه الخصوص بالتفصيل، في بحث مستقل، وذلك لطول الكلام فيه، لهذا ذكرتها هنا بإيجاز – غير مخل قدر الإمكان – والله المستعان .

(٣) الإسرائيليات جمع إسرائيلية نسبة إلى بني إسرائيل، وإسرائيل هو نبي الله يعقوب عليه السلام ومعناه: عبد الله، وبنو إسرائيل هم أبناء يعقوب ومن تناسلوا منهم فيما بعد، وقد عرفوا باليهود من قديم = =الزمان، أما من آمنوا بعيسى عليه السلام فقد أصبحوا يطلق عليهم اسم النصارى . راجع: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير صـ ٢١ .

والإسرائيليات التي نقصدها هنا هي: التي لا تشمل تحريفات اليهود فحسب، وإنما تطلق على كل المعلومات المأخوذة عن الكتب السماوية والتاريخية القديمة، وما وضعه الوضاعون – أعداء الإسلام – من روايات وقصص، وإطلاق مصطلح الإسرائيليات عليها وتعميمه على كل تلك المصادر، هو من باب تغليب الأكثر ؛ لأن المعلومات الواردة عن أهل التوراة تشكل الجزء الأعظم من تلك الأخبار، أما الروايات الأخرى التي جاءت من الإنجيل فهي بالنسبة لما جاء عن أهل التوراة شيء لا يذكر، وفي أحيان أخرى تكون مستقاة منها، فهي تابعة لها وفرع منها . وقد أطق

الاستناد إلى روايات اليهود فيما يتعلق بأخبار الأنبياء والأمم الماضية، هو ذهاب علماء التفسير والتاريخ أنفسهم إلى معرفة ما كان مجملا في القرآن الكريم .

وأيضا: خوفهم من أن يكون شيء مما يتركونه صحيحا، فيفوت عليهم وعلى الأمة الإسلامية معرفة العلم به، خصوصاً فيما يتعلق بالأمور التي سكت عنها القرآن الكريم أو أجمل الحديث عنها ؛ وذلك لعدم ضرورتها ؛ ولأن ترك معرفتها لا يأثر على مدى فهم القصة واكتساب الدروس والعبر منها .

لهذا وجدت الروايات الإسرائيلية الطريق ممهداً، للنفوذ بسمومها إلى كتب التفسير، وكتب التاريخ الإسلامي .

فمن بين الفضول لبعض العلماء، والرغبة في معرفة كل شيء، والخوف من أن يفوت على الأمة الإسلامية من العلم شيئا، أباح بعض العلماء، من المفسرين وغيرهم من كتاب التاريخ، لنفسه أن يستند إلى الروايات التي جاءت من طريق أحبار اليهود، أو بعض الشخصيات اليهودية التي أسلمت وكانت تروي الكثير من الإسرائيليات [١] .

العلماء المعاصرون لفظ الإسرائيليات على كل ما ليس له أصل في الدين الإسلامي، سواء جاءنا من أهل الكتاب أو من غيرهم يراجع: راجع: التفسير والمفسرون للإمام الذهبي ١/ ١٦٦، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير صـ ٢٣ .

(١) من هؤلاء: عبد الله بن سبأ اليهودي، الذي بذر البذور الأولى للفتنة، والتي كان بسببها انقسم المسلمون إلى فرق متعددة، كثر من بعدها رواية الحديث الموضوع سواء كان من الإسرائيليات أو من غيرها . راجع: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير صـ ٣٢ وما بعدها .

ومنهم أيضا: كعب الأحبار، ووهب ابن منبه، وعبد الله بن سلام، وتميم الداري، وغيرهم، فقد حمل هؤلاء الكثير من الروايات المكذوبة، والخرافات الباطلة، الموجودة في التوراة وشروحها، = =وكتبهم القديمة التى تلقوها من أحبارهم ورهبانهم جيلا بعد جيل وخلفا عن سلف، ومعظم هذه الروايات كانت فيما يتعلق بالقصص، وأخبار الأمم الماضية، والملاحم، والفتن، وبدء الخلق، وأسرار الكون، وأحوال يوم القيامة .

وليس معنى أن هذه الإسرائيليات المكذوبة مروية عن كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعبد الله بن سلام، وأمثالهم أنها من وضعهم واختلاقهم، كما زعم بعض الناس، وإنما معنى ذلك: أنهم هم الذين رووها ونقلوها لبعض الصحابة والتابعين، من كتب أهل الكتاب ومعارفهم، وليسوا هم الذين اختلقوها، وإنما اختلقها وافتجرها أسلافهم القدماء . راجع: الإسرائيليات والموضوعات في كتب

هذا بالإضافة إلى إسنادهم في بعض الأحيان إلى كتاب التوراة أو الإنجيل نفسه، وهو مليء بالدسّ والتحريف، والنيل من مكانة أوالأنبياء – عليهم الصلاة والسلام أجمين، ونسبة التهم الباطلة إليهم، والتي لا تتفق في أي حال من الأحوال مع نظرة الإسلام إليهم .

فنظرة الإسلام إلى الأنبياء – عليهم السلام – مبنية على أنهم يمثلون شخصيات نزيهة، معصومة عن ارتكاب الإثم، مهما كان صغيراً، فما بالك إذا نسبت إليهم كبائر الذنوب والفواحش والتي قد لا تصدر من الإنسان العادي، فكيف إذا كان هذا الإنسان نبياً معصوما، اصطفاه ﷲ تعالى من خلقه، وميزه على أهل زمانه، وحمله مسئولية هداية القوم الذين يعيش بينهم ؟ !.

طبعاً نحن لا نريد هنا أن ننفي كل المعلومات الموجودة في التوراة نفياً مطلقاً، ونعتبرها كل ما فيها ليس أصيلا، وأنه دخيل عليها ومحرف، بل نعلم جيدا أنه قد ورد فيها من المعلومات – وإن كانت قليلة جداً – متفقة مع ما جاءت به الأخبار الواردة في القرآن، أو في سنة النبي ﷺ، أو هو قريباً منها .

ولكن مَن الذي يميز لنا المحرف من غيره، ومن الذي يضمن عدم تسرب المعلومات المحرفة مع المعلومات الصحيحة، وخاصة إذا أردنا الأخذ عن أهل الكتاب، كما فعل ذلك بعض المفسرين وعلماء التاريخ .

إذا فالأولى عدم التعرض لكتبهم، وخاصة إذا كان ما نأخذه موجود عندنا في كتابنا وسنة نبينا، ففيه غنية لنا من الأخذ عنهم، أما إذا كان الأخذ عنهم في الأشياء التي سكت القرآن عنها أو تحدث فيها ولكن بإجمال، فلابد أن نتحرى الصحيح من ذلك، والذي يتمشى مع روح الشريعة الإسلامية، ويتفق مع عصمة الأنبياء – عليهم السلام – ولا يتصادم مع العقل .

وحيث أن حديثنا هنا يشمل الروايات الواردة حول القصص القرآني، وخاصة الأجزاء التي سكت عنها القرآن، أو تحدث عنها ولكن بإجمال، فهاهنا غلب على بعض العلماء الأخذ من أهل الكتاب، ومعظم ما جاءنا في ذلك لا يتناسب مع ما جاء في القرآن الكريم، أو سنة النبي ﷺ، من عصمة الأنبياء – **عليهم السلام** .

التفسير صـ ١٣٧، التفسير والمفسرون للذهبي ١/ ١٨٢ وما بعدها، مقدمة ابن خلون، بحث التفسير صـ ٣٦٨ المطبعة الأزهرية .

وهو أيضاً يتصادم مع العقل والفكر، وإليك بعض الأدلة من القرآن والسنة والتي توضح لنا أنه كان من الواجب على الأمة الإسلامية الابتعاد عن هذه الخرافات والأباطيل، التي جاءتنا عن بنى إسرائيل:

فمن القرآن الكريم آيات كثيرة، تخبرنا أن نحذر من أهل الكتاب، ولا نأخذ من كتبهم، وإليك بعض هذه الآيات، يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ۞ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ (٤).

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۞ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۞ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ (٥).

---

(١) الآيتان (٧٠ . ٧١) من سورة آل عمران .

(٢) جزء من آية (٤٦) سورة النساء .

(٣) جزء من آية (١٥) سورة المائدة .

(٤) جزء من آية (٤١) سورة المائدة .

(٥) الآيات (٦٤ . ٦٦) من سورة المائدة .

والقرآن الكريم . كما نلاحظ ذلك – يقدم لنا – بالإضافة إلى التأكيد على حقيقة تحريف اليهود للكتب السماوية . نماذج من تلك التحريفات والمزاعم الباطلة، كقولهم أن يد الله مغلولة، وإنكارهم لنبوة محمد ﷺ رغم تبشير التوراة بها كما ذكر ذلك القرآن الكريم .

وأيضا فإن السنة النبوية، فيها أحاديث كثيرة، تميل بصورة عامة إلى النهي عن الاستناد إلى الروايات الإسرائيلية أياً كانت ؛ خشية الوقوع في تلك المحاذير التي حدثت فعلاً، من خلال امتلاء بعض كتب التفسير والتاريخ بالروايات الإسرائيلية، ومن هذه الأحاديث قول النبي ﷺ: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا ﴿ **آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ ...** [1] ﴾ [2] .

وهذا الحديث واضح الدلالة على أن الموقف الصحيح الذي يجب اتخاذه إزاء الروايات الإسرائيلية والاستناد إليها وترتيب أية نتيجة عليها، هو البعد عنها نهائياً، اللهم إلا إذا كان نقلها لغرض المقارنة والاضطلاع والتعليم .

ومن ذلك أيضا قوله ﷺ: (والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى عليه السلام كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني) [3] .

وهذا الحديث قريب الدلالة من الحديث السابق، وفيه إشارة إلى ما ذكرناه سابقاً، من أن بعض المعلومات الواردة في مرويات أهل الكتاب صحيحة ولكن اختلاطها بالمحرف والمختلق يبلغ حداً يجعل من العسير . إن لم نقل من المستحيل . أن ننقل تلك المعلومات دون أن يمتزج معها المحرف، وهذا بالضبط ما أراده النبي ﷺ من نهي المسلمين عن سؤالهم .

لهذا نرى حبر الأمة عبد الله بن عباس – رضى الله تعالى عنهما – يقول: (كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسول الله ﷺ أحدث، تقرؤونه محضا لم يشب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم

---

(١) جزء من آية (٥٩) من سورة المائدة .

(٢) الحديث، أخرجه: البخاري، كتاب: التفسير، باب: { قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا }، وأبو داود في سننه، كتاب: العلم، باب: رواية حديث أهل الكتاب، وأحمد في مسنده ٣١٠/١٣ حديث (١٧١٦٣)، والحاكم في المستدرك، كتاب: المناقب، باب: ذكر مناقب عامر بن ربيعة، والبيهقي في سننه، باب: كراهية مسألة أهل الكتاب وقراءة كتبهم .

(٣) الحديث، أخرجه: أحمد في مسنده ١٢/ ٨٥ حديث (١٥٠٩٤) وقال محققه: إسناده حسن، وابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب: الآداب، باب: من كره النظر في كتب أهل الكتاب .

الكتاب، وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذي أنزل عليكم) [1].

ولا تعارض بين هذه الأحاديث وحديث النبي ﷺ الذي يقول فيه: (بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فالتبوأ مقعده من النار) [2] ؛ لأن هذا الحديث أباح لهم أن يتحدثوا عما وقع لبني إسرائيل من الأعاجيب ؛ لما فيها من العبرة والعظة، وهذا بشرط أن يعلموا أنه ليس مكذوبا ؛ لأن الرسول ﷺ لا يعقل أن يبيح لهم رواية المكذوب [3] .

وأيضا: فإن العقل البشري بقليل من إعماله، ينكر وبشدة ما نسبته الروايات الإسرائيلية إلى أي نبي من الأنبياء أو رسول من الرسل – عليهم الصلاة والسلام أجمعين – سواء كان من الزنا أو القتل أو اشتهائهم للنساء أو غير ذلك، مما نسبوه إليهم ورموهم به كذباً وزوراً وبهتاناً، فكل ما قالوه من ذلك، لو أعمل فيه الرجل العادي عقله وفكره، لوجد أن ما قالوه حول الأنبياء سفه وسخف وباطل، ولا يتمشى مع العقل ولا الفطرة، فما بالك بالرجل اللبيب صاحب العقل السليم والفطرة النقية .

وقد بلغ ببعض المفسرين حداً جعلهم يخوضون في قضايا ليست مهمة، ولا تفيد الإسلام والمسلمين في شيء، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنهم أغرموا بالنقل عن أهل الكتاب، أو نقل كل ما هو غريب في كتبهم، وذلك كالبحث حول لون كلب أهل الكهف، واسم الغلام الذي قتله الخضر عليه السلام، ونوع الشجر الذي اقتطع منه موسى عصاه، وغير ذلك من الأمور التي لا تسمن ولا تغنى من جوع في القصة القرآنية، ولا تفيد المسلمين من قريب أو من بعيد !!

يقول الدكتور أبو شهبة: وهذه الأقوال التي أسرف في ذكرها هؤلاء المفسرون: إما إسرائيليات وخرافات وضعها زنادقة أهل الكتاب القدماء، الذي أرادوا بها النيل من الأنبياء والمرسلين، ثم حملها معهم أهل الكتاب الذين أسلموا، وتلقاها عنهم بعض الصحابة، أو بعض التابعين، أو بعض الأئمة، بحسن نية، أو اعتمادا على ظهور كذبها وزيفها .

---

(١) الحديث أخرجه: البخاري، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: قول النبي (لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء)، والبيهقي في سننه، باب: كراهية مسألة أهل الكتاب وقراءة كتبهم .

(٢) لحديث، أخرجه: البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، والترمذي في سننه، كتاب: أبواب العلم عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد في مسنده ٦/٤١ حديث (٦٤٨٦) .

(٣) راجع: فتح الباري ٦/ ٥٧٥، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير صـ ١٧١ .

وإما أن تكون مدسوسة على هؤلاء الأئمة، دسها عليهم أعداءُ الأديان ؛ كي تروج تحت هذا الستار، وبذلك يصلون إلى ما يريدون من إفساد العقائد، وتعكير صفو الثقافة الإسلامية الأصيلة الصحيحة، وهذا ما أميل إليه .(١)

إذا: فإن الإسرائيليات قد شملت القصص القرآني . بصورة عامة . وقصص أنبياء بني إسرائيل . بصورة خاصة . وقصة موسى عليه السلام بشكل أخص، وهذا يدركه من تتبع الروايات الإسرائيلية الواردة في قصص الأنبياء .

وهذه الإسرائيليات كان لها الأثر السيئ على التفاسير وعلى من يطلع عليها، فيقول الدكتور الذهبي: ولقد كان لهذه الإسرائيليات التي أخذها المفسرون عن أهل الكتاب وشرحوا بها كتاب الله عز وجل، أثر سيئ في التفسير ؛ ذلك لأن الأمر لم يقف على ما كان عليه في عهد الصحابة – رضي الله عنهم – بل زادوا على ذلك، فرووا كل ما قيل لهم إن صدقا وإن كذبا، بل دخل هذا النوع من التفسير كثير من القصص الخيالي المخترع، مما جعل الناظر في كتب التفسير التي هذا شأنها يكاد لا يقبل شيئاً مما فيها؛ لاعتقاده أن الكل من واد واحد . (٢)

وبذلك نرى أن الإسرائيليات لا يمكن الاستناد إليها بأي حال من الأحوال في التعرف على أحوال الأنبياء والأمم السابقة، وأن الطريق الأسلم الذي يجب أن ننهجه، ونحن نتحدث عن موضوع من موضوعات القصص القرآني، هو اتباع قاعدة (السكوت عما سكت عنه القرآن والسنة) باعتبارها السد المنيع الذي يحول دون نفوذ الإسرائيليات إلى كتبنا .

اللهم إلا إذا وصلتنا رواية من طريق لا نشك في وثوقه، تكشفت لنا بعض ما أجمله القرآن الكريم، فيما يتعلق بقصص الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – أو بغيرها، فهاهنا وجب علينا الأخذ بها ؛ لأن شرع من قبلنا – إذا صحَّ – شرع لنا ما لم يرد في شرعنا ما ينسخه .

---

(١) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للدكتور محمد أبو شهبة صـ ٣١٣. تفسير النار لمحمد رشيد رضا ١٣/ ٢ .

(٢) راجع: التفسير والمفسرون ١/ ١٧٧. ومقدمة ابن خلدون صـ ٤٩٠، ٤٩١.

المطلب السادس: طريقة دراسة القصة، والمؤلفات فيها

ويشمل:

أولا: **طريقة دراسة القصة .**

ثانيا: **بعض المؤلفات فيها .**

المطلب السادس:

طريقة دراسة القصة والمؤلفات فيها

أولاً: الطريقة المثلى في دراسة القصة القرآنية

لقد نهج العلماء قديماً وحديثاً عدّة طرق في دراسة القصة القرآنية، منها:

دراسة آيات القصة القرآنية مع غيرها من آيات القرآن الكريم، وهذا هو الظاهر عند معظم المفسرين في تفاسيرهم، فإنهم كانوا يوضحون آيات القرآن بما فيها من قصة وغيرها، مبتدئين في ذلك من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس .

أما من خصصوا دراستهم للقصة القرآنية، فقد نهجوا نهجين:

أما الأول: فإما أنهم يأخذون آيات القصة الواحدة في القرآن، ويدرسونها دراسة موضوعية، مرتبين لها أجزائها كما هي مرتبة في المصحف الشريف .

وأما الثاني: فإنهم يأخذون آيات القصة الواحدة ويدرسونها في القرآن الكريم كاملة، مرتبيها في ذلك على الأحداث الزمانية لجُزْئِيات القصة، وليس على الترتيب المصحفي .

ولكن اجتهد الدكتور/ **فضل حسن عباس** ورأى أن الطريقة المثلى لدراسة القصة القرآنية، هو تتبعها في زمن النزول للقصة الواحدة، وليس التتبع للأحداث الزمانية الواردة في القصة الواحدة . فيقول:

لكي نصل إلى الطريق المرجوة المرضية من دراسة القصة في القرآن الكريم، لابد أن نسلك طريقة مثلى لدراسة القصة، في السور القرآنية .

والطريقة المثلى لنتذوق تذوقاً صحيحاً مواقع النجوم للقصة القرآنية، ونبرز منها ما فيها من حكم وعبر وعظات وأخلاق وآداب، أن ندرسها من حيث ترتيب النزول للسور القرآنية، بحيث ندرس النجوم التي نزلت واحداً تلو الآخر .

ولا يضيرنا كثيراً بأن ترتيب السور ليس أمراً مقطوعاً به، بل يكفينا في هذا أن نوازن بين الأقوال التي وردت في ترتيب السور، لنأخذ أرجحها كما فعل العلماء . ثم إن هناك بعض السور التي يمكن أن ندرك ترتيبها بلا عناء .[1]

۞۞۞

ثانيا: بعض المؤلفات في القصة في القرآن

لقد تناول القصة القرآنية كثير من العلماء، منهم المفسرون، وعلماء التاريخ، وهناك فئة أفردت القصة القرآنية بالكتابة والتأليف .

(١) راجع: قصص القرآن الكريم للدكتور فضل حسن عباس ص ٨٢ .

أما المفسرون فلم يكونوا سواء، بل أوجز بعضهم وأطنب آخرون، كما اقتصر بعضهم على الخبر الذي ذكرته الآيات والسنة الصحيحة، على حين نقل آخرون ما صحّ وما لم يصح .

فممن أطنب في ذكر القصة القرآنية: الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره (جامع البيان)، والإمام ابن كثير في تفسيره (تفسير القرآن العظيم)، والعلاّمة علاء الدين الخازن في تفسيره (لباب التأويل) .

على حين أوجز آخرون في ذكر القصة القرآنية، ومنهم: الإمام الزمخشري في تفسيره (الكشاف)، والإمام أبو السعود في تفسيره (إرشاد العقل السليم)، والإمام النسفي في تفسيره (مدارك التنزيل)، والإمام البيضاوي في تفسيره (أنوار التنزيل) . هذا كله مع المفسرين الأقدمين .

أما المفسرين المحدَثون، فلقد حاول أكثرهم أن يلتزم بما صح في ذكر القصة القرآنية .

أما المؤرخون فبدهي أن يذكروا القصة القرآنية في كتبهم، كما فعل الإمام ابن جرير الطبري في كتابه (التاريخ)، والإمام ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية)، والعلاّمة ابن الأثير في كتابه (الكامل) .

ولكن ما ذكر في كتب المفسرين والمؤرخين لا يطلع عليه كثير من الناس، إنما يطلع عليه من يقرؤون هذه الكتب علي كبر حجمها وطول مناهجها .

لذلك كان ولابد من إفراد القصص القرآني أو قصص الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – في مؤلفات خاصة، فأفردت كتب قديماً وحديثاً، ومن هذه الكتب [1]:

١ – كتاب (عرائس المجالس) لأبي إسحاق أحمد بن محمد النيسابوري، المعروف بالثعلبي المتوفى (٤٢٧هـ) وهذا الكتاب محشوّ بالإسرائيليات، وظل هذا الكتاب يقرأ حيناً من الدهر، دون أن يكون له منافس، وذلك إلى أوائل الثلاثينات من القرن الماضي، إلى أن ظهر كتاب (قصص الأنبياء) للشيخ عبد الوهاب النجار .

٢ – كتاب (قصص الأنبياء) [1] للعلامة الشيخ عبد الوهاب النجار وهو من كبار علماء الأزهر الشريف، وكان من حق هذا الكتاب أن ينتشر بين الناس في وقت ظهوره،

(١) أذكر هنا بعض المؤلفات في القصص القرآني، ليس على سبيل الحصر، أو الترتيب، أو التقييم، أو النقد لهذه المؤلفات أو المناقشة لها.

لكن ما أحيط به من اعتراضات وشبهات – من اللجنة المشكلة لدراسته – جعلته يتوارى بين الناس، أو يتوارى عنه كثير منهم .

وهذا الكتاب فيه خير كثير، فهو يعرض قصة كل نبي كما جاءت في القرآن الكريم، ثم يذكر ما جاء من خبر هذا النبي في الكتب السابقة – التوراة أو الإنجيل – ويرد الشبهات إن وجدت، كما ينقل آراء بعض المفسرين، كما يتعرض لما يتحدث عنه علماء الحفريات، وما ينشر في الصحف في ذلك الوقت .

٣ – كتاب (قصص القرآن) لجماعة من العلماء، وهم: محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، والسيد شحاته، وقد أشرفت على طبعه: دار التراث بالقاهرة، وهو يقع فيما يقارب (٤٨٠) صحيفة .

وهذا الكتاب يختلف كثيراً عن (قصص الأنبياء) للشيخ عبد الوهاب النجار، فكتاب الشيخ النجار أوسع منه في عرض القضايا . وكتاب الشيخ محمد جاد المولى ومن معه، لا يذكر فيه كثير من هذه القضايا، بل هو حل لألفاظ الآيات القرآنية الواردة في القصة التي يتناولها بأسلوب أدبي شيق .

٤ – كتاب (القصص القرآني في منطوقه ومفهومه) للأستاذ/ عبد الكريم الخطيب، وهو كتاب مطبوع سنة (١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م) ويقع في حوالي (٤٣٠) صحيفة .

٦ – كتاب (القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور)، وهو أيضاً للأستاذ/ عبد الكريم الخطيب، وقد صدرت الطبعة الأولى منه في بيروت عن دار الأصالة ومؤسسة الرسالة سنة (١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م) .

٧ – (قصص القرآن الكريم) للدكتور/ محمد بكر إسماعيل، من علماء الأزهر الشريف، وهذا الكتاب مطبوع في دار المنار بالقاهرة، ويقع في حوالى (٤٢٣) صحيفة، وهو كتاب قيم شائع .

٨ – (قصص القرآن الكريم) للدكتور فضل حسن عباس، وهو من علماء الأردن البارزين، وهذا الكتاب مطبوع في دار الفرقان بالأردن، ويقع في (٧٦٨) صحيفة، وهو كتاب قيم، اعتمدت عليه كثيراً في هذا البحث .

ثم بدأت تظهر بعض الرسائل العلمية التي تتحدث عن بعض القصص القرآني، أو جانب من جوانب القصة القرآنية، ومن ذلك على سبيل المثال:

---

(١) لابد أن نذكّر هنا أن (قصص الأنبياء)غير منفصل عن (قصص القرآن) لأن أكثر القصص القرآني يتحدث عن الأنبياء .

٩ – (متشابه اللفظ في القصة القرآنية) للدكتور/عبد الغني الراجحي .
١٠ – (سيكولوجية القصة في القرآن) للدكتور/ التهامي نقرة .
١١ – (القصة القرآنية) للدكتور/ عبد الباسط بلبول .

كما أن هناك بعض الكتب التي ألفت لتتحدث عن قصة واحدة، أو موضوع معين، ومنها:

١٢ – (تفسير سورة يوسف) للشيخ عبد الله العلمي .
١٣ – (الوحدة الموضوعية) للشيخ حسن باجودة .
١٤ – (تفسير سورة يوسف) للدكتور أحمد نوفل .
١٥ – (قضية التكرار في القصة القرآنية) للدكتور/ القصبي محمود زلط .

إلي غير ذلك من الكتب والأبحاث والمؤلفات التي وردت في القصة القرآنية . [١]

۞۞۞

(١) راجع: قصص القرآن الكريم د/ فضل حسن عباس ص ١٥ وما بعدها بتصرف .

المبحث الثاني
أمثلة للقصة في القرآن الكريم

ويشتمل على مطالب:

المطلب الأول: **قصة المؤمن وصاحب الجنتين**

المطلب الثاني: **قصة أصحاب الأخدود**

المطلب الثالث: **قصة أصحاب الفيل**

المطلب الأول

قصة المؤمن وصاحب الجنتين

في سورة الكهف قصة رجلين، أحدهما كافر بالله ﷻ، قد أتاه الله مالاً ففرح به وطغى واستكبر ؛ فكان عاقبة أمره خسراً . والآخر مؤمن بالله ﷻ، زاهد في الدنيا، راغب في الآخرة، قد جمع الله له شمله، وجعل غناه في قلبه، بذل مافي وسعه في دعوة صاحبه إلى الإيمان، فأبى عليه واستعصى، فحذّره مغبة كفره، وعاقبة أمره، ثم انصرف عنه، وتركه يواجه مصيره بنفسه .

وقد جاءت قصتهما في ثلاث عشرة آية من سورة الكهف، وذلك من الآية الثانية والثلاثين إلى الآية الرابعة والأربعين، يقول الله تعالى:

﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۞ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلاَلَهُمَا نَهَرًا ۞ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا ۞ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۞ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ۞ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ۞ لَكِنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۞ وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَ بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَدًا ۞ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۞ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ۞ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ۞ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا ۞ هُنَالِكَ الْوَلاَيَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ (١) .

وهذا المثَل الذي ضربه الله ﷻ في هذه الآيات درس من دروس العقيدة والسلوك الإنساني بسورتيه: المعدلة والمنحرفة، وتقرير دقيق للقيم العامة في ظلّ العقيدة الإسلامية الخالصة .

ففي هذه الآيات مثل ربنا ﷻ حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين كانا أخوين في بني إسرائيل، أحدهما كافر وكان اسمه براطوس والآخر مؤمن وكان اسمه يهوذا، وقيل هما

(١) الآيات (٣٢-٤٤) من سورة الكهف .

المذكوران في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ** ﴾ [١]، ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار .

فأخذ كل واحد منهما النصف فاشترى الكافر أرضاً فقال المؤمن اللهم إني أشتري منك أرضاً في الجنة بألف فتصدق به، ثم بني أخوه داراً بألف فقال المؤمن اللهم إني أشتري منك داراً في الجنة بألف فتصدق به، ثم تزوج أخوه امرأة بألف فقال المؤمن اللهم إني جعلت ألفاً صداقاً للحور العين، ثم اشترى أخوه خدماً وضياعاً بألف فقال المؤمن اللهم إني أشتريت منك الولدان بألف فتصدق به، ثم أصابته جائحة فجلس لأخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله . [٢]

وقيل: نزلت في أخوين من بني مخزوم، الأسود بن عبد الأسود بن عبد ياليل وكان كافراً، وأبي سلمة عبد الله بن الأسود وكان مؤمناً . [٣] وقيل غير ذلك . [٤]

وسواء كانت هذه الآيات نازلة في بني إسرائيل، أو كانت نازلة في الرجلين من بني مخزوم،أو كانت نازلة في غيرهما، فما يعنينا هنا هو المثل الذي ضربه الحق ﷻ في هاذين الرجلين، وأن أحدهما كان كافراً وكان الآخر مؤمناً .

فهذان الرجلان كما يتضح لنا من خلال الآيات:

أحدهما: يعتز بماله وجاهه وكثرة أعوانه، ويعتز بقوته وسلطانه، وينكر البعث والنشور، ويكفر بالذي خلقه من العدم، ورباه على موائد الجود والكرم، وقد أمهله ليتذكر أو يخشى، فتمادى في ضلاله وكبريائه، وغروره وسخريته، واستهزائه بالفقراء من المؤمنين .

والآخر: معتز بالله ﷻ متمسك بعقيدته، يطمع في رحمة ربه وثوابه، ويسارع في مرضاته، ويؤدي ما عليه من واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيعظ هذا الكافر موعظة بليغة، ويُذكِّره بمبدأ خلقه، ويوبخه على كفره بخالقه، ويحذره عاقبة أمره في الدنيا والآخرة، ويحاوره محاورةً هادئة هادفة، ولا يجادله ليغلبه بالحجة أو بغير الحجة .

والمثل مضروب لأهل مكة بوجه خاص، ولمن هو على شاكلتهم بوجه عام، فقد كان أهل مكة يفتخرون على المؤمنين بكثرة أموالهم وأولادهم، ويدّعون أنهم لا يعذبون في

(١) الآية (٥١) من سورة الصافات .
(٢) مفاتيح الغيب ١/ ٣٠٧، ٣٠٨ .
(٣) البحر المحيط ٦/ ١١٨ .
(٤) راجع: الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤٠٨ – ٤١٠ .

الآخرة – إذا كان هناك في نظرهم آخرة – ويزعمون أن اللهَ ﷻ لم يعطهم المال والولد إلا لأنه يحبهم، فلو رجعوا إليه لزادهم من النعيم فوق ما كان لهم في الدنيا، قال تعالى: ﴿ **وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلاَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ** ﴾ (١) .

وكانوا يحتقرون الضعفاء والفقراء من المؤمنين، ويستكبرون أن يجلسوا معهم، وقد طلبوا من النبي ﷺ أن يجعل لهم يوماً ولهؤلاء الفقراء يوماً، ولكن اللهَ ﷻ أمر نبيه ﷺ أن يصبر مع هؤلاء المخلصين له في سرهم وعلانيتهم، قال تعالى: ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا** ﴾ (٢) .

والرجلان اللذان تعرضهما الآيات، يقف كل منهما في الجانب الذي اختاره وحرص عليه واعتز به، والقرآن الكريم لم يحدد اسميهما ولا مكانهما ولا زمانهما، ؛ لأنه لا يتعلق بذكر ذلك فائدة .

فقد وهب اللهُ ﷻ أحدهما جنتين من أعناب، محفوفتين بسياج من النخل، تتوسطهما الزروع والثمار، ويتفجر من خلالهما نهر يجري بينهما في منظر بهيج، وحيوية دافقة تسحر العيون وتأخذ بالألباب، وهاتان الجنتان أُكُلُها يأتي في حينه كاملاً غير منقوص، يُبهر صاحبه ويفرحه، ويجعله يزهو به على غيره استدراجاً من اللهُ ﷻ له وفتنة ؛ لأنه سعى إلى الضلال ولم يسع إلى الهدى، مع أن له صاحباً كان يدعوه إلى الهدى ليلاً ونهاراً، فلم يزده دعائه إلا فراراً واستكباراً .

فإن صاحبه كان يرى بنور بصيرته أن هذا الذي يغتر به إنْ هو إلا عرض زائل، وعارية مستردة .

ولعل هذا الرجل الكافر أراد أن يغري المؤمن أكثر من مرة بالمال والثمر ؛ ليكون واحداً من أعوانه وأنصاره، فَدَخل به جنته، وأراه ما فيها من ثمر، فلما هوَّن له المؤمن من شأن الدنيا، وذكَّره بالآخرة، قال له وهو ظالم لنفسه بالكفر والإعراض، وقصر الهمة على جمع حطام الدنيا: ما أظن أن تهلك هذه الجنة أبداً ما دمتُ أتولاها برعايتي، وما أظنُّ الساعة قائمة في يوم من الأيام، وما أظنُّ أنني راجع إلى ربي للحساب أبداً، ولئن رددت إلى ربي – جدلاً – فإني سأجد خيراً من جنتيَّ هاتين، وسيكون منقلبي أفضل منقلب .

---

(١) الآية (٣٥) من سورة سبأ .

(٢) الآية (٢٨) من سورة الكهف .

هذا موقف من مواقف الفتنة يواجه به صاحبه المؤمن ؛ ليفتنه بزهرة ما معه من الحياة الدنيا، فيعيده إلى الكفر بعد أن فرَّ منه، أويدخله فيه إن كان قد نشأ مؤمناً .

ومنطقه هذا منطق من لا يعرف السنن الكونية، ولا يدرك عواقب الأمور، ولا يعلم شيئاً من أخبار الماضين، ولا يفهم من العدالة الإلهية شيئاً، وهي ظاهرة في كل شيء، فهل رأى هذا الأحمق الجهول فيما يدور في دنياه، هذه شيئاً لا تَبيد أبداً ؟ .

وهكذا يذهب الضلال بأهله، إلى تلك المذاهب الممعنة في السفه والجهالة، فيرون الحقائق مقلوبة على وجوهها، وهم في هذا الموضع المنكوس، الذي أقاموا فيه رءوسهم مقام أرجلهم .

وهنا يأخذ الموقف بين الرجلين وضعاً آخر فيتكلم المؤمن ويستمع الكافر، فيقول تعالى: ﴿ **قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً** ﴾، والاستفهام في الآية للإنكار والتهكم، والتوبيخ والتعجب والاستغراب .

إنه بهذا الاستفهام يرده إلى عقله الذي ذهب منه ولم يعد إليه وهو في ظلِّ هذا المال الزائل، والنعيم الخادع، ثم يحقِّر من شأنه – مرة أخر – حيث يُذكِّره بالمادة التي خُلِق منها، إنه خُلِق من تراب ثم من نُطْفة، فمهما ارتفع وعلا شأنه، وعزّ جاهه، فهو سلالة من طين، وقذفه من ماءٍ مهين، ولم يكن رجلاً سوياً، إلا بقدرة اللهُ ﷻ، ولو شاء لأهلكه في لمحة بصر .

والتعبير بالماضي في قوله: ﴿ **أَكَفَرْتَ** ﴾ بدلاً من صيغة الحاضر "أتكفر"، إشارة إلى أن هذا المنكر الذي هو فيه ليس أمراً مستحدثاً عنده، بل هو دائم قديم سكن في كيانه، واستقر بين مسرى الدم من عروقه، لا يغيره شيء، ولو كان ذلك مما يمكن أن يتغير، لكان له في هذا الموقف الذي من جنته، ورأى فيها ما رأى من آيات اللهُ ﷻ وآلائه، ما يخفق له قلبه وترق له مشاعره .

وفي هذه الصورة التي رسمها المؤمن لصاحه، وأراه فيها وجوده كله، منذ كان تراباً، ثم نطفة، ثم علقة، فجنيناً، فوليداً، فطفلاً، فرجلاً مكتمل الرجولة، كما هو الآن يختال تيهاً وعجباً . في هذه الصورة، ينظر المؤمن إلى صاحبه فيكره أن يكون على سمت هذه الصورة التي شوهها الكفر ومسخها الضلال .

وفي سرعة خاطفة ينتزع نفسه من جنب صاحبه، ويعزل شخصه عنه، ثم – وبسرعة خاطفة أيضاً – يرسم لنفسه صورة ارتضاها واطمأن إليها، فيقول: ﴿ لَـكِنَّ هُـوَ اللهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ .

ويعود المؤمن على الكافر بالنصح والإرشاد، بعد أن كشف له عن موقفه، وأعلن ثباته على إيمانه، فيقول له: ﴿ وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَ بِاللهِ ﴾ .

فلو أنصف الكافر من نفسه لآمن بربه، وسبح بحمده، وأسند إليه أمره كله، واعتمَد على حوله وقوته ﷻ .

فقد يكون المؤمن في شدّة وفقر، والكافر في عزةٍ ومنعة بالمال والرجال، فيغير اللهُ ﷻ الحال، وتدور الدائرة على من بغى وتكبَّر، فيسلبه اللهُ ﷻ أعزّ ما لديه، ويحرمه أحوج ما يكون إليه .

هكذا يفعل اللهُ ﷻ بكل متكبّر جبار، إنه قادر على أن يعوض المؤمن في الآخرة أضعاف أضعاف ما فقده في الدنيا: ﴿ إِنْ تَرَنِ أَنَـا أَقَـلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَدًا ۞ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ ﴾

أي: في الآخرة لا في الدنيا، لأن المؤمن لا يطلب في الدنيا مالاً ولا جاهاً ولا سلطاناً ؛ لعلمه أنها دارٌ فانية، وأن ما فيها زائل، وأنه فتنة تعوقه عن العمل للآخرة .

وهكذا تنتفض عزّة الإيمان في النفس المؤمنة، فلا تبالى بالمالِ والنَّفَرِ، ولا تُداري الغِنَى والبطر، ولا تتلعثم في الحقّ، ولا تجاهل فيه الأصحاب .

ومن هنا يستشعر المؤمن أنه عزيز أمام الجاه والمال، وأن ما عند اللهُ ﷻ خير من أعراض الحياة، وأن فضل اللهُ عظيم، وهو يطمع في فضل اللهُ، وأن نقمة اللهُ جبّارة، وأنها وشيكة أن تصيب الغافلين المتبطرين .

وفجأة ينقلنا السياق من مشهد النماء والازدهار، إلى مشهد الدمار والبوار والخراب، ومن هيئة البطر والاستكبار إلى هيئة الندم والاستغفار، فلقد وقع ما حذّره منه الرجل المؤمن، فقال تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَـا وَهِـيَ خَاوِيَـةٌ عَـلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ .

وهو مشهد شاخص كامل، الثمر كله مدمّر، أخذ من كل جانب ولم يسلم منه شيء، والجنة خاوية على عروشها محطمة مهشمة، وصاحبها يقلب كفيه أسفاً وحزناً، على ماله الضائع، وجهده الذاهب، وهو نادم على إشراكه بالله ﷻ، الذي يعترف الآن بربوبيته ووحدانيته !!!.

إن في ذلك لعبرة لأولى العلم والنهى، إن القيم البقية هي ما كان أساسها الإيمان بالله ﷻ وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فإن لم يكن هناك إيمان لم تكن هناك قيم، ولم تكن هناك حياة .

والله وحده هو المتفرد بالولاية والقدرة، فلا قوّة إلا قوّته، ولا نصر إلا نصره، وثوابه خير الثواب، وما يبقى عنده للمرء من خير فهو خير ما يتبقى: ﴿ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا ۞ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ (١).

المطلب الثاني
قصة أصحاب الأخدود

في تاريخ الإنسان مواقف مخزية، لقوم قست قلوبهم، فكانت أشد من الحجارة قسوة وصلابة، خرجت بهم عن حدّ البشرية إلى درجة الطيور الجارحة، والوحوش المفترسة، بل كانت أضلّ منها سبيلاً، وأشدّ منها ضراوة .

من هذه المواقف موقف أصحاب الأخدود من المؤمنين بالله ﷻ واليوم الآخر ؛ فلقد تفننوا في تعذيبهم بشتى أنواع الوسائل ؛ ليردوهم عن دينهم، حتى انتهى الأمر بهم إلى إحراقهم بالنار، في أخدود حفروه لهم، وألقوهم فيه مكبلين، واحداً بعد الآخر، أمام أبنائهم وآبائهم، وهم قد جلسوا حول النار، يمتعون أنفسهم بالنظر إليهم، وهم يصطرخون فيها، مستغيثين بالله ﷻ إذْ لا مغيث سواه، شعارهم لا إله إلا الله، وعزاؤهم أنهم شهداء ﷻ .

فقد صبروا على النار ابتغاء وجه ربهم، وضحوا بأنفسهم في سبيل عقيدتهم، واستخفوا بكل ما وجدوه في طريق الإيمان من عقبات كئود، وكانت الدنيا كلها ساعة، فجعلوها طاعة، وآثروا ما يبقى على ما يفنى، واستعذبوا العذاب الدنيوي ؛ لما سيكون في انتظارهم من الثواب الأخروي، وألقوا على أهليهم الذين كانوا يصيحون ويستغيثون – في أسف بالغ وحزن أليم – نظرة وداع حانية، وحملقوا في تلك الوجوه الكالحة التى تصافت حول الأخدود، وفي هذه النظرة سهام قاتلة، تنطلق من عيون طالما بكت من خشية ﷻ .

---

(١) راجع: قصص القرآن د/ محمد بكر إسماعيل ص ٣٧٨ وما بعدها، وينظر: مفاتيح الغيب للرازي ٣٠٦/١٠ وما بعدها، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٨٥ – ٨٧، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠/ ٤٠٨ وما بعدها، البحر المحيط ١١٧/٦ وما بعدها، روح المعاني ٢٧٣/١٥ وما بعدها، التحرير والتنوير ٣١٥/١٥ وما بعدها، في ظلال القرآن ٢٢٦٧/٤، ٢٢٦٨ .

نظرة قتلهم الله بها شرّ قتلة، وأخذاهم بها في الدنيا والآخرة، وأنزل في قلوب المؤمنين السكينة، ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم، ويقيناً مع يقينهم، وهوّن عليهم سكرات الموت حتى لقد قيل: إن روح المؤمن كانت تخرج من جسده، قبل أن يُلْقَى في النار، لكيلا يذوق العذاب، وليس هذا على الله ﷻ ببعيد .

لقد سجَّل الله ﷻ هذه القصة في آيات من سورة البروج مسبوقة بقَسم جمع الله ﷻ فيه عالم المخلوقات، علوية وسفلية، وغائبة وحاضرة، منظورة وناظرة، واستحضر الله ﷻ الوجود كله ليشهد هذا الجرم الغليظ، وليسمع حكمه ﷻ على المجرمين الذين اقترفوه، فيقول تعالى:

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۞ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۞ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۞ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۞ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۞ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۞ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۞ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۞ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ۞ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾ (١)

لقد كان لأصحاب الأخدود مع المؤمنين موقف غاية في النكر – والسفالة والإجرام الشنيع – كما أشرنا .

لكن من هم أصحاب الأخدود الذين تحدّثت عنهم هذه الآيات ؟ وأين كانوا ؟ وفي أي زمان وجدوا ؟ وبأي دين كانوا يدينون ؟ .

اختلف المؤرخون في هذا كله إلى أقوال كثيرة، ولكن الأشهر منها اثنين:

القول الأول: ما رواه الإمام مسلم في صحيحه، عن صهيب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلاَمًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلاَمًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلاَمَهُ فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ .

(١) الآيات (١–١١) من سورة البروج .

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ، فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلاَ تَدُلَّ عَلَيَّ .

وَكَانَ الْغُلاَمُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لاَ أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ .

فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ، قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي، قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلاَمِ، فَجِيءَ بِالْغُلاَمِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لاَ أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ .

فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِنْشَارِ فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ .

ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى، فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ .

ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلاَمِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلاَ فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمْ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ .

فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ، قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ [1] فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلاَ فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمْ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ، قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ .

(١) القُرْقُورُ: ضرب من السفن، وقيل: هي السفينة العظيمة أَو الطويلة، وجمعه قَراقير . يراجع: لسان العرب، مادة (قرر) .

فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعْ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي .

فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ: النَّاسُ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ .

فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ، قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ) [(١)] .

ومع هذا فليس في ذلك الحديث تصريح بأن النبي ﷺ ساق هذه القصة تفسير لهذه الآيات، ولكن الإمام الترمذي ساقه في تفسير سورة البروج .

وعن مقاتل قال: كان الذين اتخذوا الأخاديد في ثلاث من البلاد: بنجران، وبالشام، وبفارس، أما الذي بالشام (فأنطنيوس) الرومي، وأما الذي بفارس فهو (بختنصر)، وأما الذي بنجران (فيوسف ذو نواس) [(٢)] .

القول الثاني: ما ذكره المؤرخون [(٣)]: أن أصحاب الأخدود الذين عناهم اللَّهُ ﷻ في سورة البروج كانوا أهل شرك من نجران، وكان لهم ملك يقال له (ذو نواس)، وكان له كاهن أو ساحر، وكان لهذا الكاهن أو الساحر تلميذ يقال له (عبد اللَّهِ بن الثامر)، وكان يجد في طريقه إذا مشى على الكاهن صومعة، فيها راهب يسمى (فيميون) يعبد اللَّهَ على دين عيسى عليه السلام، ويقرأ الإنجيل، وكان منعزلاً عن الناس مختفياً في صومعته .

---

(١) الحديث، أخرجه: مسلم، كتاب: الزهد والرقائق، باب: قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب، والترمذي في سننه، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة البروج، وأحمد في مسنده ١٧/١٧٣ حديث (٢٣٨١٥) .

(٢) الأثر عن مقاتل، ذكره: ابن كثير في تفسيره ٤/٤٩٥، ٤٩٦ .

(٣) راجع: قصص القرآن للشيخ/ محمد جاد المولى ص ٢٨١ وما بعدها، .

وظهرت لعبد الله في قومه كرامات، وكان كلما ظهرت له كرامة دعا من ظهرت لهم إلى النصرانية، فكثر المتنصرون في نجران، وبلغ ذلك الملك (ذى نواس) وكان يهودياً، فقتل الملكُ الغلامَ، وقتل الراهبَ، وأمر بأخاديد وجمع فيها حطب كثير وأشعلت، وعرض أهل نجران عليها، فمن رجع عن دينه تركه، ومن ثبت على الدين الحق قذفه في النار، فكان أصحاب الأخدود ممن عذِّب من أهل دين المسيحية في بلاد العرب .

هذا: وقد يكون – والله أعلم – أن القصة الواردة في القول الثاني هي عين القصة الواردة في الحديث الشريف، ووقع فيها شيء من التبديل والتغيير، نظراً لأن القصة تتناقل من الأفواه وقد يُزاد فيها أو يُنقص، أما الحديث فليس كذالك، وما يدعوني إلى القول بذلك أن القصتين فيهما تشابه كبير، وخاصة في الشخصيات التى وردت في القصتين .

وعلى كل فقصص الأخاديد كثيرة في التاريخ، والتعذيب بالحرق طريقة قديمة، ومنها نار خليل الله إبراهيم عليه السلام .

والأولى والأصح أن أصحاب الأخدود الذين عناهم القرآن في سورة البروج، هم الذين ورد ذكرهم في الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم وغيره ؛ لأن أول ما يتبادر إلى الذهن أن النبي ﷺ قال هذا الحديث عقب نزول تلك الآيات؛ وسؤال الصحابة الكرام عن قصتهم، وإن لم يكن ذلك، فإن الحديث يقدم على غيره لأن من أصح ما يفسر به القرآن أن يفسر بسنة النبي ﷺ .

ولا يمنع هذا الترجيح أن يكون هناك من حذا حذو من ورد ذكرهم في الحديث، أو سنّ لهم هذا العمل الإجرامي المقيت .

وعلى كلٍّ: فالقصة مثل رائع من أمثلة البطولات النادرة في تاريخ الإنسانية الغابر، إذْ واجه المؤمنون أعتى قوى البغي والطغيان بإيمان راسخ كالجبال الرواسي، لا تزعزعه العواصف العاتية .

وهو أيضاً مثل من الأمثلة التي ينبغي أن يحتذيها كل مؤمن يريد أن يكون ممن قال الله عز وجل فيهم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١). (٢)

---

(١) الآية (٥٤) من سورة المائدة .

(٢) راجع: قصص القرآن د/ محمد بكر إسماعيل ص ٣٦٩ وما بعدها، تفسير القرآن العظيم ٤٩٤/٤ وما بعدها، جامع البيان ٨٤/٣٠ وما بعدها، غرائب القرآن ٦١/٣٠ وما بعدها، روح

المعاني٣٠/١١١وما بعدها، الجامع لأحكام القرآن ٢٧٤/١٩ وما بعدها، البحر المحيط ٤٤٢/٨ وما بعدها، التحرير والتنوير ٣٠ /٢٣٧ وما بعدها، الأساس في التفسير ٦٤٥٣/١١ وما بعدها .

المطلب الثالث

قصـــة أصـحـاب الفيـل

امتنّ اللهُ ﷻ على نبيه محمد ﷺ بما فعله بأصحاب الفيل، صيانة للبيت الحرام، الذي جعله اللهُ ﷻ قبلة له ولأبيه إبراهيم عليه السلام، وإرهاصاً لنبوته ﷺ، فقال جل شأنه: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۞ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۞ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۞ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ۞ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ (١) .

ولقد كان هلاك أصحاب الفيل نعمة من نعم اللهُ ﷻ الكبرى على قريش، فقد صان اللهُ بيته الحرام من شرهم وأبادهم عن آخرهم، فأكبر العرب قريشاً، وعظم شأنهم، عند كبيرهم وصغيرهم، ولقي أهل مكة من قاصيهم ودانيهم ترحيباً وإكراماً وتقديراً، في أي مكان حلّوا فيه .

وكان حادث الفيل في العام الذي ولد فيه رسول اللهُ محمد ﷺ، فقد كان هلاكهم كما يقول العلامة / محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره (٢): في شهر المحرم الموافق لشهر فبراير سنة ٥٧٠ بعد الميلاد، وبعد هذا الحادث بخمسين يوماً ولد النبي ﷺ على أصحّ الأخبار .

ولقد كانت هذه الحادثة التي سجلها القرآن الكريم في هذه السورة تذكيراً لقريش بهذا النبي العظيم، الذي أخبرهم أهل الكتاب بزمن مولده وزمن بعثته، وحدّثوهم عن نعوته وأخلاقه، ومنهجه في دعوته إلى اللهُ ﷻ، فأرّخوا لمولده بعام الفيل، ولم يعرفوا أنه النبي المنتظر . وذلك لأن الرسول ﷺ قد ولد يتيماً، فكفله جده عبد المطلب، سيد قريش، فارتبطت ولادته بحادثة الفيل ؛ لأنه ابن سيدهم أولاً ؛ ولأن جده كان له فضل كبير في حمايتهم؛ من بطش أبرهة الأشرم وجيشه ؛ إذ أمرهم أن يتحصنوا منه في شعب الجبال، ويتركوا مكة يحرسها اللهُ ﷻ، ويحمي بيته بقدرته – كما سيأتي بيانه .

فكان مولد النبي ﷺ هلال بشر، ومطلع خير، على أهل مكة بوجه خاص، وعلى العالم كله بوجه عام . (٣)

ولقد أوجز الإمام ابن كثير في تفسيره، فذكر أن (ذا نواس) لما قتل أصحاب الأخدود – وكانوا نصارى – لم يفلت منهم إلا (دوس ذو ثعلبان)، فاستغاث بقيصر ملك الروم –

---

(١) الآيات (١– ٥) وهي سورة الفيل .

(٢) التحرير والتنوير ٥٤٦/١٥، ٥٤٧ .

(٣) قصص القرآن د/ محمد بكر إسماعيل ص ٤١٢، ٤١٣ .

وكان نصرانياً أيضاً – فكتب له إلى النجاشي ملك الحبشة ؛ لكونه أقرب إليهم، فبعث معه أَمِيرَين: أحدهما: أرياط، والآخر: أبرهة بن الصباح أبا يكسوم، في جيش كثيف، فدخلوا اليمن فجاثوا خلال الديار، واستلبوا الملك من حمير، وهلك (ذو نواس) غريقاً في البحر، واستقل الحبشة بمُلْك اليمن، وعليهم هذان الأميران – أرياط وأبرهة – فاختلفا في أمرهما وتصاولا وتقاتلا وتصافا .

فقال أحدهما للآخر: إنه لا حاجة بنا إلى اصطدام الجيشين بيننا، ولكن أبرز إليَّ وأبرز إليك فأينا قتل صاحبه استقل بعده بالملك، فأجابه إلى ذلك، فتبارزا، فحمل أرياط على أبرهة فضربه بالسيف فشرم أنفه وفمه وشق وجهه، وحمل (عَتَوْدة) مولى أبرهة على أرياط فقتله، ورجع أبرهة جريحاً، فداوى جرحه فبرأ، واستقل بتدبير جيش الحبشة باليمن .

فكتب إليه النجاشي يلومه على ذلك ويتوعده، ويحلف ليطأنّ بلاده ويجزنّ ناصيته، فأرسل إليه أبرهة يترفق له ويصانعه، وبعث مع رسوله بهدايا وتحف، وبجراب من تراب اليمن، وجزّ ناصيته وأرسلها معه، ويقول في كتابه: ليطأن الملك على هذا الجراب فيبرّ قسمه، وهذه ناصيتي قد بعثت بها إليك، فلما وصل ذلك إليه أعجبه منه ورضي عنه وأقرّه على عمله، وأرسل أبرهة يقول للنجاشي: إني سأبني لك كنيسة هائلة بصنعاء، رفيعة البناء، عالية الفناء، مزخرفة الأرجاء، سَمَّتْها العرب (القُلَّيْس) [1] لارتفاعها ؛ لأن الناظر إليها تكاد تسقط قُلُنْسُوَتِه [2] عن رأسه من ارتفاع بنائها .

وعزم أبرهة الأشرم على أن يصرف حجّ العرب إليها كما يحجّون إلى الكعبة بمكة، ونادى بذلك في مملكته، فكرهت العرب ذلك، وغضبت قريش لذلك غضباً شديداً، حتى توصّل إليها بعضهم ليلاً فأحدث [3] فيها وكرّ راجعاً، فلما رأى السدنة [4] ذلك الحدث رفعوا أمره إلى ملكهم أبرهة، وقالوا له: إنما صنع هذا بعض قريش غضباً لبيتهم الذي ضاهيت هذا به، فأقسم أبرهة ليصيرنَّ إلى مكة، وليخرِّبنَّ بيتها حجراً حجراً .

---

(١) القُلَّيْسُ: بِيعَة للحَبَش كانت بصَنْعاء بناها أَبْرَهة وهدمتها حِمير . اللسان، مادة (قلس) .

(٢) القلنسوة – بفتح القاف وضمها: معروفة، وجمعا قلانس أو قلانيس أو قلاسي . مختار الصحاح، مادة (قلس) .

(٣) أحدث فيها: أي تبوّل وتبرّز .

(٤) السدنة: جمع سادن وهو خادم الكعبة وبيت الأصنام . مختار الصحاح، مادة:(سدن) .

فتأهب أبرهة لذلك وصار في جيش كثيف عرمرم [١] ؛ لئلا يصده أحد عنه، واصطحب معه فيلاًعظيماً كبير الجثة لم يرى مثله، يقال له: محمود – وكان قد بعثه إليه النجاشي ملك الحبشة لذلك – وقيل: كان معه ثمانية أفيال، وقيل: اثنا عشر فيلاً، وقيل غير ذلك .

فلما سمعت العرب بمسيره أعظموا ذلك جداً، ورأوا أن حقاً عليهم الدِّفاع عن البيت ورد من أراده بكيد، فخرج إليه رجل من أشراف اليمن وملوكهم يقال له: (ذو نفر)، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة، وصدِّه عن بيت اللهﷻ، وما يريده من هدمه وخرابه، فأجابوه وقاتلوا أبرهة، فهزمهم وأُسر (ذو نفر) فاسطحبه معه .

ثم مضى لوجهه حتى إذا كان بأرض (خثعم) [٢] عرض له (نفيل بن حبيب الخثعمي) في قومه فقاتلوه فهزمهم أبرهة، وأسر (نفيل بن حبيب) فأراد قتله ثم عفا عنه وأخذه معه ليدله في بلاد الحجاز، فلما اقترب من أرض الطائف، جرج إليه أهلها ثقيف وصانعوه خِيفةً على بيتهم (اللات)، وبعثوا معه (أبو رغال) دليلاً .

فلما انتهى أبرهة إلى (المُغَمَّس) [٣] نزل به، وأغار جيشه على سُرُح [٤] أهل مكة، من الإبل وغيرها فأخذوه، وكان في السرح مائتا بعير لعبد المطلب، وبعث أبرهة (حناطة الحميري) إلى مكة وأمره أن يأتيه بأشرف قريش، وأن يخبره أن الملك لم يجئ لقتالكم إلا أن تصدوه عن البيت .

جاء (حناطة) فدُل على عبد المطلب بن هاشم، وبلّغه عن أبرهة ما قال، فقال له عبد المطلب: واللهﷻ ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت اللهﷻ الحرم، وبيت خليله إبراهيم، فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمه، وإن يخلي بينه وبينه فواللهﷻ ما عندنا دفع عنه .

فقال له (حناطة): فاذهب معي إليه، فذهب معه، فلما رآه أبرهة أجلَّه – وكان عبد المطلب رجلاً جميلاً حسن المنظر – ونزل أبرهة عن سريره، وجلس معه على البساط .

وقال لترجمانه: قل له ما حاجتك ؟، فقال للترجمان: إن حاجتي أن يرد عليَّ الملك مائتي بعير أصابها لي . فقال أبرهة لترجمانه: قل له: لقد كُنْتَ أعجبتني حين رأيتك، ثم زهدت

---

(١) العرمرم: الجيش الكبير . مختار الصحاح، مادة (عرم) .

(٢) خثعم: بفتح الخاء وسكون الثاء وفتح العين وفي آخرها ميم، نسبة إلى خثعم بن أنمار . [اللباب ١/٤٢٣].

(٣) المُغَمَّس: كمعظم، وهو موضع قريب من مكة في طريق الطائف . راجع: التحرير والتنوير ١٥/ ٥٤٦ .

(٤) السُرُح: المال السائم، يقال: سرحت بالغداة وراحت بالعشي، والاسم: السراح . راجع: مختار الصحاح .

فيك حين كلمتك، أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك ؟، فقال عبد المطلب: إني أنا ربّ الإبل، وإن للبيت ربّ سيمنعه، فقال: ما كان ليمتنع مني، قال: أنت وذاك .

وردّ أبرهة على عبد المطلب إبله، ورجع عبد المطلب إلى قريش، فأمرهم بالخروج من مكة، والتحصن في رؤس الجبال، تخوفاً عليهم من معرَّة الجيش، ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون اللهَ ويستنصرونه على أبرهة وجنده . وقال عبد المطلب وهو آخذ بحلق باب الكعبة:

لاهم إنّ المرء يمـ نع رَحْلَه فامنع حِلالك
لا يَغلبنَّ صليبهـم ومِحالهم غدوا مِحالك [1]

فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وهيأ فيله وعبأ جيشه، فلما وجهوا الفيل نحو مكة أقبل (نفيل بن حبيب) حتى قام إلى جنبه ثم أخذ بأذنه، وقال: ابرك محموداً، أو ارجع راشداً من حيث جئت فإنك في بلد اللهِ الحرام. ثم أرسل أذنه فبرك الفيل .

وخرج (نفيل بن حبيب) يشتدّ حتى أصعد في الجبل، وضربوا الفيل ليقوم فأبى، فضربوا في رأسه بالطَبْرَزِين [2]، وأدخلوا محاجن [3] لهم في مراقه [4] فبزغوا [5] بها ليقوم فأبى، فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة ثانية فبرك .

وأرسل اللهُ عليهم طيراً من البرّ أمثال الخطاطيف [6]، والبلسان[1]،

---

(١) الحِلال – بكسر الحاء المهملة: القوم المقيمون المتجاورون، ويريد بهم سكان الحرم . والغدو: هو الغَد، فحذفت لامه – وهي الواو – ولم يستعمل تاماً إلا في الشعر . والمِحال – بكسر الميم: القوة والشدة . هامش: قصص القرآن د / محمدبكر إسماعيل ص ٤١٥ .

(٢) الطبرزين: آلة من حديد . هامش: قصص القرآن د/ محمدبكر إسماعيل صـ ٤١٥ .

(٣) المِحاجن: جمع محجن وهي آلة من حديد معوجة الرأس . راجع: المعجم الوسيط، مادة(حجن).

(٤) مراقه: أسفل بطنه . هامش: قصص القرآن د/ محمدبكر إسماعيل ص ٤١٥.

(٥) البَزْغِ: هو الإدماء، وهو الشَّقُّ، يقال: بَزَغَ البَيْطارُ أَشاعِرَ الدابة، إذا شق ذلك المكانَ منها. ويقال للسِّنِّ: بازِغةٌ إذا ابتدأَت في الطُّلوع. راجع: لسان العرب مادة: (بزغ) .

(٦) الخَطَاطيف: جمع الخُطَّاف، وهو ضرب من الطيور القوامع، عريض المنقار، دقيق الجناح طويله، منتفش الذيل . المعجم الوسيط، مادة (خطف) .

مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره، وحجران في رجليه، أمثال الحُمُّص والعدْس، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك، وليس كلهم أصابت .

وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق، ويسألون عن ((نفيل)) ليدلهم على الطريق – و(نفيل) على رأس الجبل مع قريش وعرب الحجاز، ينظرون ما أنزل الله بأصحاب الفيل من النقمة والعذاب، وجعل (نفيل) يقول:

أين المفر والإلــه الطالب والأشرم المغلوب وليس الغالب

فخرجوا يتساقطون بكل طريق، ويهلكون على كل منهل، وأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم يسقط جسده أنملة أنملة، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه .

فقد صنع الله بجيش أبرهة ما صنع وحمى بيته الحرام بقدرته – وهو الغلب على أمره – فكان ذلك من أَجَلِّ النَّعَم على قريش وسائر العرب كما ذكرنا .[٢]

---

(١) البلسان: المراد بها هنا: الزنابير، وهو في الأصل نوع من أنواع الأشجار صغير، له زهر أبيض كهيئة العناقيد، وهو من الفصيلة البخورية، ينبت في مصر . راجع: لسان العرب ، المعجم الوسيط، مادة (بلس) .

(٢) راجع: تفسير القرآن العظيم ٥٤٩/٤ – ٥٥١، قصص القرآن لمحمد جاد المولى ص٢٩٣ وما بعدها، جامع البيان ١٩١/٣٠ وما بعدها، غرائب القرآن ١٦٤/٣٠ وما بعدها، الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٨٧ وما بعدها، البحر المحيط ٥١١/٨ وما بعدها، روح المعاني٢٩٧/٣٠ وما بعدها، التحرير والتنوير ٥٤٤/٣٠ وما بعدها، في ظلال القرآن ٣٩٧٤/٦ وما بعدها .

الخـاتمـة

وتشمل على :

أولا : **أهم نتائج البحث والتوصيات .**

ثانياً: **فهرس المصادر والمراجع .**

ثالثاً : **فهرس عام المحتويات الرسالة**

أولاً: النتائج والتوصيات:

بعد حمد الله تعالى على نعمتي الإسلام والإيمان، فإني أحمده سبحانه على أن من على بنعمة العيش في ظلال القرآن الكريم، فهي نعمة من الله ﷻ ومنة .

ومن خلال معايشتي لهذا البحث ودراستي له، تبين لي بوضوح بعض الأمور التي ارتأيتها صالحة لتكون نتائج مهمة من نتائج البحث، وهي:

أولاً: تقوى الله ﷻ وإخلاص النية والعمل لله سبحانه، فإن ذلك أساس التوفيق ومفتاح العلم وبابه، يقول عز سلطانه: ﴿**وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[1] .

ثانياً: أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وميزه عن سائر المخلوقات، وكرمه أحسن تكريم، ووضع له من الضوابط الشرعية ما تنتظم به علاقة مع خالقه، وعلاقته مع الناس .

ثالثاً: أن كل ما أمر الله تعالى به أو نهى عنه، إنما هو لمصلحة الفرد والجماعة ؛ لكي يعيش الإنسان سعيداً في دنياه وآخرته .

رابعاً: أنه لا صلاح لأحوال الأمة الإسلامية إلا بالعودة إلى منهج الله تعالى المتمثل فى القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ .

خامساً: أن يحرص كل إنسان على اتباع مرضاة الله ﷻ فى قوله وفعله، وأن يكون له الأسوة والقدوة في النماذج التي ضربها الله ﷻ لنا في القرآن الكريم . وأيضاً: لابد أن يبتعد بنفسه عن سخط الله ﷻ وغضبه، ويعلم من سيرة السابقين كيف كان عقاب الله ﷻ لهم وانتقامه منهم .

سادساً: على مفسرى القرآن الكريم المعنيين بألفاظه، إثراء المكتبة التفسيرية بهذا القصص القرآني، وإبراز ذلك فى إطار متسق يربط بين أطراف الآيات المتناثرة للقصة الواحدة .

سابعاً: كما أوصى بأن يواصل العلماء والباحثون جهودهم فى تنقية كتب التفسير مما علق بها ودخل عليها، حتى يمكن الاستفادة بها والركون لها والاطمئنان إليها، وبخاصة ما في القصص القرآني .

ثامناً: أن يحرص الإنسان على العمل بما يعلم حتى لا يقع تحت قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ**﴾[2]

---

(١) جزء من الآية (٢٨٢) من سورة البقرة .

(٢) الآية (٢، ٣) من سورة الصف .

وبعد فيعلم الله أني قد بذلت جهدي ووسعي ؛ لإخراج هذا العمل بهذه الصورة، والتي أتمنى من الله العلي القدير أن تكون طيبة ومقبولة .

اللهم هذا بحثي قد ضمنته رأيي، وحسبي أني بذلت جهدي، لأدرك جانباً من الحق الذي يتم به الخير أو بعضه . فأسألك سبحانك أن تغفر لي ما قصرت فيه، فما كان في هذا البحث من حق وصواب فمنك سبحانك، وما كان فيه من ذلل أو تجاوز أو تقصير فمن نفسي، وحسبي أني بذلت جهدي فلا تحرمني الأجر والثواب . كما أسأل الله الكريم البر الرحيم أن ينفعني بهذا العمل والمسلمين، وأن يجعل خالصاً لوجه الكريم .

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

﴿ **وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين** ﴾

۞۞۞

ثانياً: فهرس المصادر والمراجع

١ = أسباب النزول، المسمى: لباب النقول في أسباب النزول للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي، طبعة: المكتبة العصرية، بيروت ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م، تقديم وتعليق: محمد على القطب .

٢ = أسباب النزول لإمام أبى الحسن على بن أحمد الواحدي النيسابوري، طبعة: دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، تحقيق: أيمن صالح شعبان .

٣ = الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، للدكتور / محمد بن محمد أبو شهبة، طبعة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية بالقاهرة، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .

٤ = الأعلام: لخير الدين الزركلي، طبعة: دار العلم للملايين بيروت، الطبعة العاشرة ١٩٩٢م .

٥ = البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، طبعة: مكتبة دار التراث بالقاهرة، تحقيق: محمد أبوالفضل إبرهيم .

٦ = بلاغة القرآن للأستاذ / محمد الخضر حسين، جمع وتحقيق: على الرضا التونسي، ١٣٩١هـ – ١٩٧١م .

٧ = تاريخ بغداد: للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، طبعة: المكتبة السلفية – المدينة المنورة .

٨ = تأويل مشكل القرآن، للعلامة: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة طبعة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه .

٩ = التحرير والتنوير، للإمام محمد الطاهر بن عاشور، طبعة: دار مصر للطباعة، الناشر: دار سحنون للنشر والتوزيع، الجمهورية التونسية .

١٠ = التصوير الفني في القرآن لسيد قطب، طبعة: دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثامنة عشرة ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .

١١ = تفسير ابن كثير، المسمى بتفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، طبعة: المجلد العربي بالقاهرة، الناشر: المكتبة الوقفية بالقاهرة .

١٢ = تفسير الأساس في التفسير للأستاذ / سعيد حوى، طبعة: دار السلام، القاهرة، الطبعة الخامسة ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م

١٣ = تفسير الألوسي، المسمى: روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، للعلامة: أبى الفضل شهاب الدين السيد محمو الألوسي البغدادي، طبعة: دار الفكر، لبنان، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م .
١٤ = تفسير البحر المحيط للعلامة: محمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسي، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ / عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ / على محمد معوض، وآخرون .
١٥ = تفسير الطبري، المسمى: جامع البيان في تفسير القرآن، للإمام أبى جعفر محمد بن جرير الطبري، طبعة: دار الجيل بيروت .
١٦ = تفسير القرآن العزيز، المسمى: تفسير عبد الرزاق، للإمام أبى بكر عبد الرزاق بن همام الصنعانى، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، السعودية . الطبعة الأولى ١٤١٠هـ . ١٩٨٩م، تحقيق: دكتور: مصطفى مسلم محمد .
١٧ = تفسير المنار، المسمى: بتفسير القرآن الحكيم، تأليف: الأستاذ محمد رشيد رضا، الناشر: دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية
١٨ = تفسير النيسابوي، المسمى: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، طبعة: دار الجيل، بيروت، هامش جامع البيان .
١٩ = التفسير والمفسرون، تأليف الدكتور / محمد حسين الذهبي، الناشر: مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .
٢٠ = ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: للرماني، والخطابي، والجرجاني، تحقيق: الأستاذ / محمد خلف الله، والدكتور / محمد زغلول سلام، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة .
٢١ = الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، طبعة: دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٤مـ، راجعه وضبطه وعلق عليه: الدكتور / محمد إبرهيم الحفناوي، وخرج أحاديثه: الدكتور/ محمود حامد عثمان .
٢٢ = الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، طبعة: مطبعة الأنوار المحمدية، القاهرة .

٢٣ = سنن أبى داود، للإمام الحافظ المصنف أبى داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، طبعة: دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، شرح وتحقيق: الدكتور / السيد محمد سيد، والدكتور / عبدالقادر عبد الخير، والأستاذ / سيد إبرهيم
٢٤ = السنن الكبرى ن للإمام الحافظ أبى بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقي، طبعة: دار المعرفة بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦ م، إعداد الدكتور/ يوسف عبد الرحمن المرعشلي.
٢٥ = سنن الترمذي، المسمى بالجامع الصحيح، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة المعروف بالترمذي، الناشر: مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٧٨م، تحقيق وشرح الأستاذ / أحمد محمد شاكر .
٢٦ = صحيح البخاري، المسمى الجامع الصحيح المسند المحقق من حديث رسول الله ﷺ، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبرهيم بن المغيرة بن بردزية البخاري، طبعة: كتاب الشعب .
٢٧ = صحيح مسلم، المسمى الجامع الصحيح، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، طبعة: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، تحقيق وتصحيح وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي .
٢٨ = فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلاني، طبعة: المطبعة السلفية، الناشر: دار الريان، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ، حققه: محب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه واحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، أشرف على الطبع: قصي محب الدين الخطيب .
٢٩ = فتح المنان في نسخ القرآن، تأليف: للشيخ/ علي حسن العريض، طبعة: مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة، الناشر: مكتبة الخانجى بمصر، الطبعة الأولى ١٩٧٣م .
٣٠ = قصص القرآن، تأليف: محمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبرهيم، على محمد البجاوي، السيد شحاته، الناشر: مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الثالثة عشر ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م .
٣١ = قصص القرآن، للدكتور/ محمد بكر إسماعيل، طبعة: دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ – ١٩٩٧ م .
٣٢ = قصص القرآن،للعلامة: أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .

٣٣ = قصص القرآن الكريم للدكتور/ فضل حسن عباس، طبعة: دار الفرقان، عمان الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .
٣٤ = القصص القرآني، للدكتور / محمد عبده بلبول، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر .
٣٥ = القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، للأستاذ / عبد الكريم الخطيب، طبعة: مؤسسة الرسالة – ودار الأصالة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .
٣٦ = قضايا التكرار في القصص القرآني، للدكتور القصبي محمود زلط، طبعة: دار الأنصار، القاهرة، ١١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .
٣٧ = لسان العرب، للابن منظور، الناشر: دار المعارف، بالقاهرة، تحقيق: نخبة من دار المعارف .
٣٨ = مباحث في علوم القرآن، للدكتور/ القصبي محمود زلط، طبعة: دار القلم بيروت، دبي، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
٣٩ = مباحث في علوم القرآن، للشيخ مناع القطان، طبعة: مطابع المختار الإسلامي، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة السادسة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .
٤٠ = مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، طبعة: دار المنار، دراسة وتقديم الدكتور / عبد الفتاح البركاوي .
٤١ = مستدرك الحاكم، المسمى المستدرك على الصحيحين في الحديث، للعلامة: محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم، طبعة: دار الفكر، بيروت، ١٣٩٧هـ – ١٩٧٨م .
٤٢ = المسند، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل، طبعة: دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م، شرحه وصنع فهارسه: الشيخ أحمد محمد شاكر، وأكمله: حمزه الزين .
٤٣ = مصنفه ابن أبي شيبة، للإمام عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق الأستاذ / عبد الخالق الأفغاني، بدون ذكر الطبعة .
٤٤ = المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية، الطبعة الثالثة .
٤٥ = مفاتيح الغيب، المسمى بالتفسير الكبير، للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن على التميمي البكري الرازي الشافعي، طبعة: دار الغد العربي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ – ١٩٩١م

٤٦ = مقدمة ابن خلون، المسمى: المقدمة، للعلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، طبعة: دار القلم بيروت، لبنان، الطبعة السادسة ١٩٨٦م
٤٧ = النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي العادات المبارك بن محمد الجزري، المعروف بابن الأثير، طبعة: دار إحياء الكتب العربية، الناشر: عيسى البابي الحلبي، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود الطناحي .
٤٨ = النوران في علوم القرآن، تأليف: الدكتور / حسن محمد عبد الهادي شداد، طبعة: مطبعة التقدم بطنطا ١٩٨٦ .